كتاب العالم

-١-



٢٠ دقيقة

طوى

كتاب العالم
١

٢٠ دقيقة

طوى
للنشر والاعلام

كتاب العالم ١

٢٠ دقيقة

Book: kitab Al-alam 1: 20 daqiqa
الكتاب : كتاب العالم ١: ٢٠ دقيقة
Cover plate: Deyaa Yousef
لوحة الغلاف: ضياء يوسف
First Edition: 2013
الطبعة الأولى ٢٠١٣

طوى للثقافة والنشر والإعلام ـ لندن
TUWA MEDIA & PUBLISHING LIMITED
19 TANFIELD AVENUE, LONDON, NW2, UNITED KINGDOM
Email: tuwa@london.com
Tel : 00966505481425 - 00966556687678

التوزيع : منشورات الجمل
تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Al-Kamel Verlag
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

صافرات الإنذار ..

في البداية ربما لا يمكن تصديق هذه المسألة، أن العقل يتذكر لعشرين دقيقة بعد الوفاة، قبل أن يمضي إلى فنائه النهائي، حتى وإن تكن صحيحة فعلاً فإننا لا نريد أن نصدقها، إذن لماذا نكتب؟ لسببين؛ لأن الفكرة ذهبت بنا إلى مكانٍ بعيدٍ في الرعب، وبقدر ما أخافتنا، بقدر ما أحببناها، لذلك نكتب عن هذه العشرين دقيقة، فالكتابة اختبرتنا كصغارها، ثم علمتنا أن نخلق أشياء صادقةً، وإن لم يكن لها من واقعٍ صادق ومساو. الآخر. . إننا نستحلي الكتابة لنخمن أمكنتنا من هذا الفضاء المروِّع؛ الكون!

أيّنا . . . . . .

أيّنا سيذهب أولاً، هذا السؤال اخترع هذه اللعبة العنيفة والموجعة، أن نرثي بعضنا دون أن ننتبه، مهما كان رقم مغادرة أحدنا، كلنا في هذا الكتاب لا نعرف أرقامنا، من منّا سيموت أولاً، من الثاني، من العاشر، من الأخير، كلنا نخاف أن نكون ذلك الأول، وكل واحدٍ سيشعر، على ما يشبه اليقين، أنه لن يكون ذلك الأخير! الأخير الشقيّ، المسكين الذي سيكون عليه

واجب توثيق تواريخ وفاتنا، الأخير الذي سيحمل أمانة أن يعيد صفّ هذا الكتاب؛ الميت الأول فالأول، أو على الأقل ليوصِ، إن هو أنهكته الفجائع، أن يفعل هذا أحدهم، بعد نفادنا كلّنا، حينها فقط سيكتمل هذا الكتاب. .

لقد استجبنا لهذا الكتاب لأن أجنحة السؤال الكبيرة أخذتنا إلى أعلى الجبل، هناك حيث نصبح وحيدين وعراة نُطلّ على عالم الأحياء الذين تركناهم عنوة وبقوة البياض من بعدنا وهو يركض حتى احترقت رئتيه.

إننا نكتب لنتوقع، ونكتب لنخمن، ونكتب لنختار، ونكتب لنتخلّص من المرارة الجميلة.

عشرون دقيقة ونحن ننظر إلى موتنا بشجاعة ربما. . .

فمنا لكل الأحياء من بعدنا كتاب العالم خارجاً من عشرين كهفاً إلى عشرين ميتاً . . .

أما ترتيبنا في الكتاب فبحسب الأبجدية، أبجديّة لم يختر أي منّا حرفاً واحداً منها. . إنها فكاهة القدر الغريب، حين قرر ألا يختار، قررنا أن نختار.

فيما سنترك للحياة والموت ترتيبهما البدائي والأبديّ.

٢٠ دقيقة ـ يدُ جنين في بطن أمّه

أحمد العلي

ليس اليومي بتفاصيله الداكنة، أليفاً. . هو كالشعر الذي قد تُخفيه الكلماتُ بدل أن تكشفه. لذا، في هذا الفاصل المستقطع من لا شيء، سيكتشف مُخّي ما كان عليه فهمه منذ البداية؛ أنه يعيشُ في إحدى روايات أجاتا كريستي، ربما (ذاكرة الأفيال) التي تستلقي أمامي الآن قُربَ (البؤساء).

لن يكفيه استحضارُ كل المحققين والشرطة والمشتبه فيهم في الرواية لحلّ لُغز ما فيه، بل سيأتي بـ شيرلوك هولمز نفسه. . يُحسُّ أنفاسه بالقُربِ من ياقة قميصه:

- الجريمةُ أُخرى، هي أنت. قال شيرلوك.

رأى نفسه مُستلقياً في دائرة الضحيّة الطباشيريّة؛ يده الممدودة يَدُ جنينٍ في بطن أمه، وقدمه المعقوفة لشَيخٍ قد يكونه.

يترجرجُ في سيّارةٍ مُسرعةٍ للمستشفى، وقُربَ أسطوانة

الأوكسجين يقف دراكولا إلى جانب جبريل. . بابتسامَةٍ مُحدّقةٍ في الدّم وحده.

كُلّهم عَادُوه، في هذا الفاصل المستقطع من لاشيء؛ جدّه الذي مات، مُذيعي برامج FM الصباحيّة و إشارات المرور، شتائم من تعوزه المهارة في القيادة. . سركون بولص وسلفادور دالي، أغنية Billie Jean وأشباح الطفولة. . باسمة وعبدالسلام ونورس. . كلهم يشفعون له عند رَب الشركة لتغيُّبه.

الأهم أن على أجهزة الموبايل و اللابتوب كلماتُ عُبورٍ مُعقّدة مثل Bar-Code أو Matrix لن يكشف أسراره أحد. ولتكن ثيابه وكتبه وأسطواناته نهبَ من أراد، و ليدخّن أحد سجائره قبلَ يباسها. . ولن يعرف أحدٌ كيف يُخرِجُ -كُلّ صباحٍ- قُمامة الرّب من منزل العالم. هكذا سيشعرون بفقده. لكنه ظَنّ أنه يَدّعي مَوتَه، أنه سقط أمام قدمَي أُمّه من زَعَلٍ، يُمَثِّلُ أنّه مات. . وبفتحة عينٍ ضئيلةٍ رأى قدمَيها تجيئان وتذهبان غير عابئتين به، فلم يستطع الوقوف. . أراد التحدث فلم يستطع، كأنه شارلي شابلن الذي عندما أراد التحدث، بكى. . عَلِقَ هُناك. . وهو الذي ظنّ أن ذخيرة الدم في ألعاب البلايستيشن حقيقيّة، أن لديه فُرَصَاً أخرى للحياة. . وجد نفسه مثل جريدةٍ لا تعرفُ سوى يومها ووجوه من قرأوها.

أقضم الآن قطعةً من CupCacke في يدي، لابساً أحد قمصانِ هاواي المُشجّرة. . وهو هناك، عالِقٌ هُناك.

عشرون دقيقة ـ خيط رماد

سعيد الأحمد

عشرون دقيقة أعلق بخيط رماد يمتد إلى العدم، أسترجع صور الأبيض والأسود..

أول صورة: أول صفعٍ لجبين أخي الأصغر، ثاني ركل بين أفخاذ ابن الجيران الأكبر..

تسع سقطات وخطايا سبع..

شريط الأخطاء طويييييل،

ودماغ رثّ لا يعمل نصفه.. النصف الآخر؛ نصف الخير، مهترئ، متهتّك..

لا يحضرني لون المكتب، حبر الأوراق، حجم البيت، هوية عقارات شمال الأرض، صكوك المتع، رائحة النقد، سحنة مكسب!

تخفت كل الأشياء، تتسيد أول أخطائي قائمة المشهد، ورائحة دموع فقير بجنوب الأرض!

وطريق الأسفلت ممتد للمطلق، على كتفيه رصيف يحضن ضلعاً أسمر. . .

رجل يستجدي الخبز، ها قد أغرقنا نصف القمح بالبحر، وصنعنا بالنصف الآخر فطائر زينة نصف الليل!

شحاث يستجدي القرش، وقد أغرقنا منضدة (البوكر) بكشوف حسابات البنك، وخلاخل من ذهب السيقان!

امرأة حبلى تستجدي المشفى. . لا نحضر،

ويتيم يحتاج أن يتبنى، ها قد حرمنا الشفقة، وشطبنا آيات الرحمة!

أصعد مع هذا الخيط للأعلى، وصراخ لا صوت له

أستجدي ملك الغفران، بلا تاريخ يشفع. . . . .

من أنت؟

أجيب: أنـــــا!

هل كنت هناك؟

نعم

ما تفعل؟

أرفض

بالفعل؟

بل بالقول.

وأين الأفعال؟

في إحدى الصفحات، على صدر الأوراق، برائحة الحبر، بين شهادات نجاحي، عند رئيسي؛ قد يشهد!

لا جدوى... لا جدوى... تعال هنا: في الصف الخلفي، بين هزائم أصحابك، سوء الفهم، غباء استيعاب الدّور، تنظيرات الاستنكاف، وخطايا الخذلان السبع.....

من أنت؟ أين أخوك الأصغر وابن الجيران الأكبر، والصفع؟ وضلوع الفقر، وسكوتك بجوار القمح الغارق، وريالات (الروليت) ؟ .... يا ربي !!

عشرون دقيقة ـ ميراثي من الأجنحة والهلاوس

صبا طاهر

بموتي، عرفتُ المعنى الحقيقي للخلاص.

لطالما كان قريباً، لكنني لم أترك له فرصةً ليلمسني، مع أنني عرفتُ دائماً ما الذي يجب على القلب المتمرد فعله.

طوال هذا الوقت تركت نفسي كنهر يخاف أن يغفو فتُغيرَ الأرضُ مجراه، كشجرةٍ ارتعبت أن تُصنعَ منها يدُ الفأسِ التي تموتُ بها أختُها. كنتُ منجماً من الحنين السرِّي لجذوري التي لم أنسها يوماً.

هذا هو الخلاص..

محاطةً بالبحر، الملحُ يجرحُ عيني، والليلُ يفتحُ لي أبوابَ عتمتِهِ، أقبضُ بيدي على البرق، والهواءُ يلمسني بيد الوداع الأخيرة.

هذا هو الخلاص. .

مثلما تمرنتُ طويلاً على الإخلاص لهذه الشفرة الرقيقة الحادة؛ أبحرت بعيداً، وحرصتُ ألا يتمكن أحدٌ من إيقاف وريدي المقطوع !

ها هو الدمُ يتدفقُ ساخناً. أحسُّ بقلبي ينشطر نصفين، أسمعُ الآنَ تمزقَ شرايين رأسي الصغيرة، لا شيء من أفكاري يتشبث بهذه الخلايا الدماغية، كلُّ أفكاري تريدُ الانعتاق.

يتلاشى الحسُّ رويداً رويداً، وآهٍ يا أيامي التي أتركها خلفي الآن دون ندم، فلطالما كنتُ خارجها، ولطالما كنتُ غريبة عن هذا العالم، لعلّي كنتُ قرباناً قدّمه أجدادي لآلهةٍ قديمةٍ أسطورية، أم لعل مساري الأزلي قادني إلى حياةٍ ليست لي، فلم تنسجم أقداري مع القلب المفتون بالجمال والفن والحرية.

ماذا كان بوسعي أن أفعل أكثر !

لقد غنيت وأحببت وكتبت وعانيت. قلتُ كلمتي حتى لو لم تسمعها إلا الريحُ المحملةُ برائحةِ أشجار البرتقال.

وآهٍ يا ميراثي من الأجنحة والهلاوس. .

يا جسدَ الأرضِ المبتلِّ، يا منديلَ أمي الحريري، وخُصلةَ شعرها.

يا تُرابَ أبي، يا ندى العشب على قبر أختي، يا ضِحكةَ صديقتي، يا يدَ حبيبي، ويا هذا الندب بين حاجبيه.

هذا أولُ كتابٍ كتبته، وهذه شجرةُ اللوز التي دفنتُ تحتها أسراري، هذا طريقُ البيت الذي أضعتُهُ يوماً، و هذه الأصابعُ التي كَتَبَتْ على جبيني وعودَها الأزلية.

هذه رياحُ الجنوبِ الدافئة، هذا الغديرُ الذي طيرتُ فراشاتي عنده، هذا الضبابُ الخفيف يلفني كشالٍ على قمةِ الجبلِ الذي علمني كيف أعيش كالغِزلان.

هذا عطر جلدي، هذه شجرة ورد «الكاميليا» التي ذبلت عند نافذتي، هذه «أوين»، أولُ فرسٍ تأخذني للطيران، هذه «جيان» التي رسمها «موديلياني»، وهذه التي تمد إليَّ قصائدها، «فروخ فرخزاد»، وتلك الرصاصة التي قتل بها «لوركا»، هؤلاء أصدقائي المفتونون بوحدتهم.

هذا هو الخلاص..

كيف تأخرتُ كثيراً حتى أصلَ إلى دهشةٍ حقيقيةٍ تسحقُ كلَّ أفكارِ الحياةِ التافهة؟ كيف!

كيف تأخرتُ عن رعشةِ التجربةِ الحارقةِ في دمي، كيف فاتتني لذةُ الخوفِ من الغريب المجهول في الضفة الأخرى؟

ها أنا أخيراً أسمحُ لروحي أن تعلن رفضها، أن تتبعَ شوقها، وتتخذَ طريقها الذي اختارته، دون أن يمنعها حنينٌ أو تردد. ليس بعد أن قررتُ الرحيل، ليسَ بعد أن تأكدتُ بأني

أشجعُ من أن أموت في سريري، أو حتى مصادفةً في حادثٍ بسبب عينين مجهولتين غابتا للحظة خلف فكرة ما.

هذا هو الخلاص

كم تخيلت دوماً أن أخلق بنفسي لحظةً بمثل هذه القوة، والجراءة.

عنفوان وشجاعة وتمرد تأتي كلها من جحيمي الداخلي الغافي في أعماقي منذ آلاف السنين، منذ أول حياةٍ وحتى آخر الحيوات التي مرت بها روحي، قبل أن تحتل جسدي وما زال عالقاً بها تراب المنفى..

تلك الروح التي كانت مرةً سوراً للعذاب، ومرةً ورداً في الجنة. وتارةً روحاً لكائنٍ ملعون، وأخرى ملاكاً يغسل أقدامَ الأطفالِ عندما يُولدون.

كانت مرةً روح الطريق المفعم بالآثارِ والفضولِ والأسرار، ومرةً هذا المدفن الذي يتشاركُ أوجاعَه الأراملُ والأيتام. كانت تارةً روحَ الموسيقى يندفعُ جسدُها كالسهمِ تِجاه الأرضِ تَحرُثها بَقدميها، وتبذُر الفنَّ بَذرةً بَذرة، ومرةً صُراخَ القلبِ المحطم، ومرةً رُوحَ الظلامِ التي التصقتْ بها أعينُ أولئك الذين سكنتهم الوحدة والخوف، لم يحتملوا فكرة البقاء ولا فكرةَ الرحيل، فعلقوا في أبديةٍ يائسةٍ ينتظرونَ خلاصهم. لا يهمُ ماذا كنتُ أو أينَ أنا! فلقد أصبح بمقدوري الآنَ أن أرى شَكليَ الحقيقي، وأسمع صوتيَ الذي كانَ لي في رحمِ أمي قبل أن يصيرَ لي

صوتٌ جديدٌ في هذا العالم. . الآن ينكشفُ لي كُلُّ شيءٍ على حقيقته.

هذا اللغز الذي أخذتُه معي وأنا أخرجُ للدنيا من ماءِ موطني الأول، وظلَّ يؤرقني طوال حياتي، كيفَ أحلّه؟!

ما قضيتُ الأيامَ كلَّها بحثاً عن إجابةٍ له؛ أراهُ الآنَ واضحاً أمامي. . بسيطاً وعارياً!

تطابقت الصورةُ مع هلوساتي التي احتلتني دائماً، فها هو الريش ينبتُ على كتفيَّ جناحينِ، إذن هذه أنا؟!

لقد كنتُ في الأصل نواةً لطائرِ النار، وخُلقتُ كائناً آخر!

فكيف بالخطأ أتيتُ إلى دنياكم كإنسان؟

إذن هذا سرُّ عدم تكيفي مع الكائنات البشرية، وحُزني الوجودي الغامض، وسببُ كلِّ هذه المأساويةِ المتوحشةِ.

ومصدر تلك الكهرباء التي تلمس أعصابي المكشوفة، مولدة كل هذه الفوضى في دماغي، وذلك العذاب الجبار، وتلك النزعة لتدمير الذات.

هل هذه أوهامُ اللحظةِ الأخيرة؟

الآن أعرفُ، أني لستُ سوى طينٍ جمعته يدُ القدر من تراب الحقول معجوناً بأغنيات السنابل وماء الينابيع، ثم ولدتني رغبةُ امرأةٍ جميلةٍ في عتمةِ ليلٍ ساحر، قبل ستة وثلاثين عاماً.

فليكن. . قد آن للطين أن يعودَ إلى أرضه.

هكذا يمنحني الموتُ خلاصي..

عيناهُ القاسيتان في عيني، خدُّه الخشنُ يحتكُّ بعنفٍ وشهوةٍ مع خدي الناعم.

برودة شديدة أحسها تحت جلدي، أتجمد قليلاً وذراعه تحيط بي، جسده الساخن يسحق آخر الأزهارِ في غابات عمري، أشهق من أعماقي وأنفاسه الحارة الشبقة تأخذ آخر أنفاسي.

كنتُ ميتةً تماماً والموتُ يبلغُ نشوته، ضَمَّني بعنفٍ لآخرِ مرة، كعاشقٍ ساديّ، ذراعاه تُفلتانني بكل شراهة الحب الجبارة إلى هاويةٍ ما..

عشرون دقيقة ـ في معنى الأبدية

ضياء يوسف

(١)

العشرون دقيقة الكافية لأنسى كم كنت عالقة، أدرك فيها كرة العالم الصغيرة. الكرة التي في عشرين دقيقة فقط تصبح قلادتي.

(٢)

أزرق.. أزرق أيها العالم.. ولمّـاع.

(٣)

٢٠ دقيقة.. في القشعريرة الدافئة تجتاح روحي، أتلفّت حولي، يبين لي طيف جسدي ممدداً في الغرفة.

إدراكي للغرابة يتبخر كدخان من الإبريق.. خوفي يتبخر أيضاً..

يتلاشى في الكون..

(٤)

تجذبني بخفة تأوّهات الشجرة التي تنعم بدفء الشمس خارجاً..

ابتسامة الشمس التي تنتشر أشعتها في المكان، موسيقى الكواكب وهي تشعر بجمال إشراقها، الأناشيد.. الأنين..

التغريد، الحنين، الانتظار... الفرح.

(٥)

شاسعٌ.. شاسع قلبي..

طيبٌ.. كل شيء في هذا العالم.

(٦)

يا.. للرحمة الدافقة.. زهرة هنا تشكرني.. ولا أدري لماذا. كأنها تحلم بي..!

النافذة تشكرني، الماء المعلق في الهواء، الهواء المنسجم مع الملائكة..

(٧)

أشعر بامتنان دافق للأرض، للأرواح الجميلة... للأرواح كلها..

(٨)

أشعر بامتنان للخلق وفكرته. .

ولعظمة الوجود. .

(٩)

أشعر كثيراً. . بالشفقة على جسدي. .

أكنت هناك فعلاً !.

(١٠)

عشرون دقيقة أدرك فيها روحي. .

قطعة من الحب. .

(١١)

الحب يقودني لطفلة الجيران. .

تضحك تضحك. .

أنا الآن ضحكتها. .

اللحظة طويلة. . لذيذة. . ممتدة. .

اللحظة سرمدية. إنها عمري الجديد الآخر، عمري الذي سأنسى فيه أنني الجسد الذي عليه الآن أن يحتضر. .

(١٢)

عشرون دقيقة لي، لأراني بأجساد احتمالاتي، بالممكنات التي كان لها أن تكون، بالأبعاد الكثيرة..

بالوفرة التي لم أتشبث بها طويلاً

عشرون دقيقة لي لأعيش ذلك العالم بلذة كما لو أنني فعلت معه أكثر من الحلم به..

كما لو أنني صافحته بحب..

فتحقق..

(١٣)

أدرك الآن بيتي..

كم كان رحماً صغيرة.

(١٤)

الشارع قصير أيضاً.. بحجم نقطة..

أتذكر الآن..

هنا ابتسم قلبي يوماً لحلم جميل...

النقطة تضيء..

النقطة تملأني بالأشعة..

يا اللّه..

ما أجمل أن يشعر أطفالي بهذا يوماً.

(١٥)

الأرض في السماء.. والسماء في الأرض.. وأنا كلاهما.. سلام ينطوي في داخل السلام.. شسوع يجتاحني.. أشعر بالبكاء.. لهذا البكاء طعم العودة.. نعيم أن أعود.. يا إلهي نعيم..

أن أمتن لك..

(١٦)

يتعاقب على روحي شعور الطمأنينة والبهجة. الآن فقط.. بسحرية الانتقال المدهشة، أعكس النور ورحابة السماء. من قال إن الموت سيشبه كل هذه الأجواء الساحرة؟

كل شيء يضيء بشمس القلب ومحبة الإله

ما أشد تألقك أيها الكون.

(١٧)

أنا أولد الآن مجدداً..

في الرضا..

(١٨)

يا لمقدرة الباطن..

مقدرة الباطن عظيمة.. ستحتاج ٢٠ دقيقة فقط..

لتحولني . .
إلى كائن . . حر .

(١٩)

أيها القادم إليَّ من عمر الوجود
هل سأتعلم كيف أجني هذه اللذة مجدداً؟ . .

(٢٠)

إلهي هنا . . إلهي هناك أيضاً . .
يستحق الأمر السلام . .
وأنا أستحق هذه الغفوة . .

عشرون دقيقة ـ العقل يمد لسانه للجثة

ضيف فهد

واو.. إذن فجأة يا جسدي العزيز انتهى كل شيء.. هاه؟!

وكل ما تبقى لديّ الآن: عشرون دقيقة.. منفصلا عنك. حراً في ليل الموت الذي بدأ يحل. يا للروعة، والتخلص، والعطالة.

دعني أولاً أقدم إعجابي بهذه النهاية التي جاءت بشكل خاطف ويشبه ضربة قاضية في جولة ملاكمة.. الحق أنني لم أتوقع أن الأمر سيحدث بهذه الطريقة..

دعني أكن أكثر صدقاً: خطرت لي هذه النهاية - وتمنيتها - مرة أو مرتين أثناء أعمالي الروتينية اليومية، لكنني لم أظن أنني سأواجهها بشكل حقيقي.

عليك أن تُعجب مثلي أيضاً بهذه الحركة المباغته، التي وضعت نقطة آخر سطرك الطويل.

لا . . . ليس سطرك بشكل كامل، هو أقرب إلى سطر مشترك كتبناه معاً، أو أنت كنت تكتب وأنا كنت أملي عليك. عموماً هذا ليس أمراً نختلف عليه الآن. المهم أنها جنبتنا نهايات بديلة لا تبدو جيدة ونحن نراها تَحلّ بالآخرين. . جميل أن تنتهي وأنت بكامل عافيتك ونضارتك، وأنا بكامل تحكمي. .

أخبرتك بأنها نهاية جميلة وكنت أتمناها. .

حسناً. . السر هو لحظة الآمان التي أعيشها الآن، وسأستمر أشعر بها خلال العشرين دقيقة القادمة. . قبل أن ألحق بك إلى الفناء. .

لحظة أمان التخلص من رعبي الوحيد الذي لم أستطع إيجاد طريقة واحدة للتخلص منه، وها هو يطير الآن كقشّة في وهاد العدم، التخلص من رعب فقدان السيطرة على ذلك القبو الدبق، والمعتم، وشديد الكتمان: قبو الأهواء السرية. .

تعرفها بالطبع، وطالما تلذذت بها، ورغباتك فقط هي من كان يدفعني لابتكارها في كل مرة، ثم المسارعة بدفنها حية في ذلك القبو. الأهواء التي لم تصل إلى حد الأفعال، لكنها، مع ذلك، تظل سيئة. .

كنت أخاف طوال عملي من تسرّبها في لحظة فقدان سيطرة - خرف مثلاً - وتبدأ عندها تنز، تطفح، تتسرب في الكلمات غير الواعية، في الجمل غير المترابطة، وتستقر في الإنصات المقصود، والمترصد..

لن تفهم أبدا ليالي الخوف التي عايشتها طوال حياتي عندما كنت أحل وثاقك وأطلقك ترعى في سهوب النوم، أن تفتح باب ذلك القبو - بدون قصد - وينسل منه نمل أسرارنا. أنا سعيد الآن وأشعر بالطمأنينة على سمعتي الجيدة.

حسنا، دعني فيما تبقى لي من وقت أوقع كلماتي الأخيرة بصفتي الإدميرال تفكير، أمير البحر الخلوي الذي أسمه أنت.. كنت قائد هذا الأسطول، هذه الحشود التي تشكل مستعمرتك الخلوية..

توليت المهمة مبكرة، أنا نفسي لم أعد أقوى على تذكر متى بدأت.. أشرفت على كل شيء: وظائفك، عوضت ما تلف منك، داويتك، أنقذتك من الوحدة، صنعت وهمك الكبير في الحب، أظهرت لك الطموح بشكل مقبول، ابتكرت لك كلماتك الجيدة، وضعت طرق لانتقامك وأشرفت على تنفيذها، وعندما كنت تعجز عن إتمام الأمر زينت لك فضيلة المسامحة.

والآن، وأوامري تعود إليَّ دون تنفيذ، أنظر إليك أيها الجسد وأنت تنأى. تضع السماعة التي تصل بيننا للمرة الأخيرة وإلى الأبد.. ولا أشعر تجاهك بشيء..

ها أنت تقفل الخط، تأخذ خطواتك الأولى في الذوبان، في إعداد نفسك كوجبة.. كمُحتل ومُنتهك، أشاهدك عائداً إلى المربع الأول في السلسلة الغذائية، ملايين الأيدي العاملة غير المنظورة تستعد الآن لتضع قفازات العمل الأنيقة و... تجرك كنفاية إلى مصنع إعادة التدوير الأحيائي..

على أي حال لم يعد يهمني شيء مما يحدث، أصبحت للمرة الأولى مستقلاً عن الباقي، عن هذا الجزء بالغ الكثافة والثقل. أُقِلتُ من مهامي في إعطاء الأوامر وتلقّي الإشارات، تخلصت من وظيفة الأرشيف البغيضة، ووضعت دفاتري على طاولة، أغلقت الباب عليها، وأمامي طريق طويل علي قطعه خلال العشرين دقيقة القادمة، لمسة الموت الساحرة أنهت كل القلق والحرص والمتابعة والرغبة والطموح الحلم والتخيل والمحبة والكراهية والإيمان والحيرة والتردد والنذر والكبرياء والزيف والصفح والضغينة، لي فقط هذه العشرون دقيقة، لن أدّعي الحزن وأسهر إلى جوار الجثة، سوف أتحرك الآن إلى ذلك الضوء، إلى ذلك الباب المفتوح على العدم، ثم بعدها أي مصير ينتظرني لا علم لي على الإطلاق.

عشرون دقيقة ـ سيجارة الذئب

عادل حوشان

أرفع ثوبي الذي ضايقني طويلاً وأربطه أعلى بقليل مما كنت أظن و. . . أركض. . . أركض، سأفتح عينيّ بعدَ الدويّ، أرى الغراب الذي رافقني، ميتاً بجانب صوت الرصاصة وأضحك عليه.

أخطو. . . يجيئون أهلي ويضعون حنّاء أفواههم على جبهتي، أنظر إلى الساعة لكي لا يمر الوقت دون جدوى، وأخطو. .

مقعد يطيرُ في الهواء، هذا ما أتمناه وأركض.

الهواءُ يلتفُّ عليّ و. . . ، أجدُ كلمةً مؤلمة في فم أفعى تنظر إليّ بنية غير واضحة تحديداً، عيناي مفتوحتان باهتمام و. . أركض فعلاً.

أتمنى رئتيّ الورديّتين كما في الصور المؤقتة للأصحاء بعناية مُركّزة.

أحكّ حبالي الصوتية بحجرٍ ممكن و . . . أتوقف قليلاً

أدفعُ الهواء من ظهره ليبتعدَ عن طريقي أو يجدَ عملاً، وأوقف أسئلتي لتصبح أكثر وضوحاً.

أُنزل ثوبي وأنفض عنه الوجوه التي التصقت بسنواته الـ . . . لا أعرف أسنانها . .

أندمُ بشكلٍ غير مؤذٍ لرجل دخّن كثيراً ولم يكمل بعد أشياء خفيفة (لون الليمون، تدريب الرماد على الريح، لذعة النبيذ المنزليّ، موقع كتاب النوم، إصلاح جهاز التكييف، علب السجائر المتبقية . . . .)

ربما . .

أواسي قدميّ، أو أمسح بكاء الصغيرات، أخفّفُ الضوء إن أمكنني ذلك.

ما أنا متأكدٌ منه تماماً أنني . . .

سأكون جُرعَةً للرجال الذين سيدفعونني بقدمٍ واحدة إلى قبضة العَدَم.

عشرون دقيقة ـ شحاذ المحطات

عبد الرحمن الدرعان

إنها ساعتك أيتها الروح
ساعة طيرانك الطليق فيما ليس له كلمات
بعيداً عن الكتب، بعيداً عن الفن
لقد امحى النهار، وتم الدرس
ها أنت تنهضين
صامتة محدقة
متأملة فيما تحبين:
الليل والرقاد
والموت والنجوم

وايتمان

تنبثق أسئلة الموت من تاريخ ذاكرة جمعية بدأت بتلك اللحظة التي كان فيها الغراب يحوم في السماء قبالة غراب الدهشة في ملامح قابيل، وما زالت تقاسي هذا الرّهاب في

محاولة يائسة لتفسيره أو مقاربة معانيه بوصفه حدثاً طزاجته غير قابلة للنضوب.

مصدر هذه المخاوف يتأتى من ازدواجية حضور الموت وغيابه في آن واحد يترجمها قول أبيقور: كلا لست خائفاً. فما دمت حياً فإن الموت لم يأت بعد، وحينما أموت لن أكون موجوداً.

الخوف الذي ينفيه الفيلسوف ليس سوى شجاعة المعرفة في الفيلسوف بيدَ أن الخائف من وجهة نظر نفسية هو الذي يسرق جبة الشجاعة مصرحاً بمخاوفه العميقة بقوله: لست خائفاً.

يكمن الموت في تلك المنطقة الغامضة التي يتعذر معرفتها من خلال وسيط مرّ بالتجربة وغادر إلى بيت الأبدية إلى غير ما رجعة، وآخر لم يزل على قيد الحياة.

يقول الشاعر جورج باطاي:

غير أن الموت هو الذي يبدو لي مثيراً للضحك أكثر من أي شيء آخر في العالم ولا يعني هذا أنني لست خائفاً منه. لكننا يمكن أن نضحك من شيء يخيفنا ويفزعنا. بل لعلّي أذهب إلى الاعتقاد بأن الضحك هو ضحك الموت!

وهنا يفتح سيلاً من الأسئلة:

هل يكبر الموتى؟

وهل يضحكون ويبكون كما نراهم في الحلم؟

وما الذي يبقى من هذا الجسد الذي فقد بلاغته المادية بعد عودته الأبدية ؟

غير أن كل الإجابات التي تحاول مقاربة الموت كموضوع، تتصدع إزاء ما يختزنه الإنسان عبر تاريخه على الأرض. ومن يتتبع التحولات التي طرأت على هذه الظاهرة وما يصاحبها من طقوس لها أصولها البدائية سيكتشف دائماً تغلب الإجابات الفيزيقية والأسطورية على ما عداها، ذلك أن الناس إزاء غموض الظاهرة متساوون إلى حد كبير بما تنطوي عليه طبقاتهم النفسية السفلية من تشابه حسب كارل يونغ.

أحد المحكومين بالإعدام قال حين طُلب منه تدوين وصيته الأخيرة: ليس لدي وصية، هي أمنية: أن يتجمد العالم في لحظة مثولي على النطع كل شيء من ذراع السياف حتى آخر أشياء العالم. وإذا ما توغلنا في أعماق هذه الأمنية فإنها ستبدو ساذجة فهذا بالضبط هو ما سيحدث ولكن بشكل مقلوب وحسب.

كل موت، لحظة وقوعه، حتى الموت الذي تشي بحتميته الأعراض والمقدمات المرضية الميئوس منها هو موت مفاجئ، وكل لحظة تسبق تلك اللحظة حتى أقسى لحظات اليأس تظل لحظة مغموسة بأمل ما في حالة مألوفة تمزقها قسوة المجهول. فحينما يطلق الصياد رصاصته المؤكدة وتطيح بالملايين من

ذرات الهواء في طريقها إلى الهدف فإن الضحية تعلق بأمل سريع لا يعمر لأكثر من لحظة خاطفة تواكب سرعة الطلقة.

وهكذا الحياة، كل لحظة هي طلقة لامرئية تقترح الموت بقدر ما تهب الحياة. وهنا أتذكر اليهودي الماثل لحكم الإعدام في قصة بورخيس، حينما سأل الرب دعوته في أن يوقف الرصاص المتجه صوبه لمدة عام واحد ريثما يتم كتابة مخطوطه.

ترى أليست هذه الصورة السوريالية المرعبة هي نسخة من الحياة.

كلنا بشكل ما نحن هذا الماثل للموت تحت وابل رصاص جامد في الهواء.

ليست الحياة نقيضاً للموت إلا لمن لا يعرفونها، أولئك الذين لا يرون في هذه الضفيرة التي يشكلها الشهيق والزفير / الموت والحياة، إلا شعرة واحدة وحسب.

المفاجأة بما تنطوي عليه من معنى زمني، ارتباك اللحظة، الحدث الذي يخون مساره المتوقع، تتعطل دلالتها حالما تتوقف الحركة وتكف الحياة عن الاستمرار. إنها مفاجأة بالنظر إليها من موقع المتفرج.

** ** **

عشرون دقيقة ؟ وهكذا انهمرت عليَّ الأسئلة:

عشرون دقيقة وفقاً للزمن الفيزيائي الذي تعبر عنه ساعة الطبيب، كم تعادل بالنسبة لجسد في طور الانتقال لجسد لم يعد خاضعاً لناموس الزمن؟

لا بد أن المعيار الذي يضبط به القاتل ساعته لا يتوافق مع ساعة القتيل.

وهذه الكتلة الرخوة في طور الانطفاء هل ستبدو كتلة واحدة أم إنها لا تعدو أن تكون مجموعة هائلة من الأجهزة والأعضاء والأنسجة والخلايا التي تجمعت بالإكراه في ورشة اسمها الجسد؟

أستخدم لفظ الإكراه بالنظر إلى جثة سوف تتفسخ عما قليل وتنحل عناصرها الأولية في حالة انعتاق من قفص حبست فيه افتراضاً لبضعة عقود.

خيّل لي من موقع مغاير أن الهلع سوف يتفاقم بشكل لا يحتمل في فكرة أن يستيقظ الموتى للقيام برحلة سياحية لعشرين دقيقة في المدينة القديمة (الحياة). أظن أن هذا العرض سيكون موتاً مضاعفاً وأن أحداً لن يقبل بمجازفة من هذا النوع.

تتجلى في قصة أهل الكهف بكل ما تكتنفه من مشاهد، صورة مكبرة لهذه الرحلة المقلوبة.

أحد الشعراء يعبر ضمنيا عن رفض العودة إلى حياة لا تستحق التكرار:

«عندما أنتقل إلى العالم الآخر

سأرغب في الذهاب إلى عالم ثالث

عالم يسود فيه السكون».

** ** **

من جنازة أبي عدت بارداً مثل مسرنم، كل ما أعقب الموت بدا مثل حلم، وحالما وقع بصري على زوجَي حذائه المركون بالقرب من العتبة، انفجرت الدمامل دفعة واحدة.

فالطرقات التي عبأها أبي في حذائه ارتدت عليَّ كمدينة أشباح خاوية يفترسها الغياب.

وفي ذلك الأربعاء الذي ما فتئ يعتادني كل يوم عندما جلست قبالة الطبيب لمشاهدة صورة الأشعة التي يظهر فيها جزء معطوب من أحشاء أمي لا يتجاوز بضع سنتيمترات طولية، وفيما بعد كان هذا الجزء وحده السبب في تفاقم حالتها بشكل فادح ومريع ثم موتها؟ في تلك اللحظة تجلت لي تفاهة الحياة التي تتخذ من هذا الجسد الضئيل مهرجانها العابر.

كنت أتساءل بسذاجة البدائي: أليس في مقدور الطبيب أن ينتصر على بضعة سنتيمترات من أمعاء يبلغ طولها بالأمتار وأن تستعيد الحياة مسارها؟

وتشعب الحديث عبر مفارقات غامضة: أن يهلك شخص بلدغة دبور وأن ينجو آخر سقط من علو شاهق أو عضة تمساح أو جرعة سم تجرّعه بالخطأ؟!

لحظة موتها وقعت تحت سطوة خفة وجودية هستيرية شبيهة بتلك الحالة التي اجتاحت ألبير كامو إذ بدت لي الحياة أشد سرعة من لمعة عود ثقاب.

وعند ولوجي الأول إلى القبر المكشوف بصدد تنويم

جنازتها الطازجة في صقيع الأرض طاف في مخيلتي سكان تلك المدينة السفلية الهائلة بطوابقها المتكررة وبدا لي أن الموتى الجدد سوف يترقون أكثر فأكثر ويهبطون إلى طوابق أعمق فيما يفسحون الأماكن للموتى الذين يلونهم. وما إن انتهى طقس الدفن حتى صاح بي طفل في مجلس العزاء:

أنا الولد الذي لم يعد يرى التراب

من يخفي عني عيون الموتى بعد الآن.

لا يجيء الموت لحدث مؤطّر بلحظة، إنها الوجه الذي يلتصق بكل تفاصيل الحياة ويمدها بمعانيها.

** ** **

مرة قال بورخيس:

«أتخيل في الفجر أني أسمع دمدمة واهنة

من حشود ولعثمات تتخافت

فهي كل شيء أحبني وسلاني

المكان والزمان وبورخيس راحلون عني الآن»

ومرة روى لي صديق أن أستاذاً جامعياً في أمريكا طلب من طلابه مراقبته وهو يشنق نفسه كقربان غير ناجز لمقاربة لحظة الانتقال رغبة في معرفه كنه هذا الغامض، وقد قدر للتجربة أن تنجح (نسبياً) حيث روى أنه شاهد حياته تمر أمام عينيه كشريط سينمائي في نشوة لا توصف.

إذا كان في مقدور الذاكرة استدعاء الأماكن بعد مغادرتها

فما التحولات التي سوف تطرأ على هذه الذاكرة الخاضعة لشرط الزمن؟!

جل التصورات التي تفترض أن الأحلام هي التي تتزامن مع لحظات الانزلاق المصيري ينبثق من كون الموت واقعة مكبرة للنوم، وربما هي نوم آخر يفيق منه الموتى على نواميس أخرى «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

أخال أن عشرين دقيقة (بحساب المتفرج) كافية بحساب الوقت بالنسبة لشخص يتحضر للنّوم لكي تمر حياته بتلك الخفة على غرار فيلم سينمائي يوجز سبعين عاماً في ساعة ونصف على سبيل المثال.

ستمر بك الرغبات التي لم تتحقق على هيئة سرب حمام أبيض

الأسرار التي تنتهي بالضحك لحظة افتضاحها بعد فوات الأوان

البنت التي خبأتك في الخزانة في لعبة قديمة ونسيتك لليلة كاملة

سوف تعيد المزاريب تلك القبلات القديمة تحت ذريعة المياه

أنت النائم بجوار شحاذ المحطات المكتظة بالمسافرين

الأزقة المحشوّة بسعال الجنيات في الليل القروي الأبله

والنخيل الأحمق مقلوبا على عقبيه في ليلة السابع والعشرين

والولد الذي ارتدى معطفين من القطط

والصيحة المجزوءة لطفل كافأ أمه ساعة الطلق بالغياب الطويل

وسوف تضحك على تلك الطرق الماكرة لإيقاظ النائمين

تمتمة الأحجار التي لا توقظ الحارس في الظهيرة الملائمة لسرقة البطيخ

سعار الشمس وهيجنة البدويات بالقرب من نبع الماء

ثمة أكثر من قاتل وأكثر من قتيل كلهم كانوا إياك كمشاريع مؤجلة

والآن: كم هي المساحة التي تشغلها عشرون دقيقة في حين أن عمر الإنسان منذ عصر الكهوف حتى العصر السايبيري لا يعادل سوى عشر دقائق قياسا على عمر الكون؟ وهو في الوقت نفسه أضعاف حياة لأمبيا مسنة.

ليس الكائن الذي لم ينجز قط وحسب.

فثمة ما هو أكثر بكثير.

عشرون دقيقة ـ .... إلخ

عبدالله ثابت

أتخيل في هذه العشرين دقيقة التي لا أصدقها.. وكأن خرطشاتٍ كثيرة ربما يمضي العقل إليها بحنينٍ حلو، فيخيّل إليه أنه يلمح بعض الحكايا، حيث تكمن أقدم المخاوف، وأول البهجات؛

- خوف؛ رائحة البول في لحافٍ داكن.. أقدم خوفٍ من طلعة الشمس.

- أول فداء؛

- كيف أتخلص منه؟ (تبكي..)

- أنا أخلّصك.

- كيف؟ أنت طفل!

انتظرته في الفناء حتى خرج من باب الضيوف، سددت نحوه بلا تردد، أصبته في قدميه. كان الصياحُ يفتح فمَه أكثر مما

يتسع له بالعادة. هربتُ، وهو لم يعد بعدها. .

- خلّصتك! . . (ضحكنا. .)

- أقدم حزّة حادّة؛ الموسى يوم ختاني، وكان لي سنواتٌ خمس. أذكر الدم وطلقات الاحتفال، وأذكر الهدايا وقهقهة الجارات.

- مخبأ الماشية، قبالة الباب. . البقرة مربوطةٌ بحبلٍ أخضرٍ وسميك، وكلما فُتح الباب رفعت رأسها وتبالعت بعينيها كل ما يتدفق من الضوء. أما الثور فهناك مسلسلاً في الركن، والأغنام محجورة بعازلٍ خشبيٍ هشّ في الغرفة الثانية، وفي اختلاط القشّ كانت لعبة الاختباء الأولى! . قلبوا البيت والبراميل والأشجار، أخرجو أكياس الدقيق من تحت الطاولة الضخمة، حتى بقايا سيارة الجيران التي نهشتها الريح فتّشوها، ولم يعثروا عليّ!

- أقدم غبن؛ تمضي المركبة، لا تترك خلفها غير أشلاء الصرير اللاصق بالإسفلت! وهم يسافرون معاً، وقفت محدقاً في الغبار، كانت العجلات لا تمشي على الأرض، إنما تدهس قلبي، وكان لصيحتي أن تعبر الأرض.

- أول أغنية: يومها كنت في الغرفة ذات الدفء الأول، نفس التي رأيت أبي يبكي فيها لأول مرة، والشاشة بلوني الأبيض

والأسود لا غير، لكن الصوت كان عميقاً ومحموماً. .
وحكّتني تلك الصبيحة أذناي، بلذةٍ أبدية.

- أقدم عصيان، لحظة قيل لي «ألا ترى! لتلحق بالآخرين»، ما أكثر ما نفرت من صيغة الأمر، لم أطق هذه الـ «امش خالياً منك». . فتجرأت مرةً ولم أفعل! عوقبت. . ثم فعلت ذلك كل حياتي.

- رائحة؛ من فمها ومن حليبها، من صدغيها وضفيرتيها. . كانت قريةٌ بأكملها تتفتح كركعتي فجر. ومن منديلها كانت تتطاير بذور ريحانٍ شديد الخضرة، أما يداها فقد كانتا تقطران. . تقطران بما يكفي لملء دلاء الدنيا، بالحناء والتعب. اسمها؛ أمي. . اسمها؛ زهرا.

- حضن؛ لو أنه يرجع الزمن، وأنا بجسدٍ أصغر من أول لحاف، نائماً كما كنت في بطنها، منكمشاً من لذعة الشتاء الحميمة، قبل أن تطلع الشمس، في حِجرْها.

- ضرب، صلّيت؟ أجل. لكني صلّيتها وحدي. كان على ظهري الصغير أن يحتمل كل ذاك الخيزران، وعلى جلدي أن يحتفظ بخيوطها الزرقاء المطبوعة عليه أياماً.

- حلم؛ ربما وأمي جالسةٌ، على عتبة دارنا الصغيرة في القرية، تستقبل شمس الصبح، لتجمع لي ما تقدر عليه من

الدفء، وكأنني غفوت بين يديها فرأيت سلاماً عذباً وصافياً، وأن لي فمي وكلماتي، وكأنني حلمت لأول مرة.

- كذبة؛ كنت قد نطحت برأسي الجدار كثيراً أستجلب الصداع، كي أقسم باللّه أني مريض، وأن تلك المدرسة والمدرسين السفلة فوق احتمالي، لكن الصداع ما كان يأتي، وكنت أقسم باللّه.

- كتابة؛ بجوار النافذة، لاصقاً بالجدار اليسار، في قاعة الصفّ، كان القلم بنصف ساعدي. غافلت المعلّم وفي ورقةٍ انتزعتها من منتصف الدفتر، كتبت كلماتٍ لا أذكرها، لكنني آمنت بها، ولم تخرج منّي أبداً.

- ضياع؛ كان الوقت ساعة الظهيرة، أول ساعة أفقد بها أملي، وأن عليّ أن أحمل يأسي على كتفيّ وأمشي، كانت الطريق طريقين، عبرت الأولى فلم تأخذني لأي مكان، لكن امرأةً لا أذكرها كانت هناك، أعلى السبيل، أمسكت بيدي وجلست إلى جانبي، أشفقت على هلع هذا الصغير الضائع، وحملتني إلى بيتها.

- عطر؛ في زاويةٍ من الحيّ، زاويةٍ من البيت، زاويةٍ من الزاوية.. كانت زجاجة عطرٍ تفوح منها أول عشيّةٍ في الربيع.. لا الشمس هي الشمس، ولا البرودة التي تجثم

على مدّ البصر هي نفسها. للحظة.. لم يكن شيءٌ كما هو أبداً.

- غرق؛ كانت لي سفينة من فلّين، غرست في منتصفها صاريةً من خشب، وأمثّل أني سأبحر، وقفت على حدّ البئر، وبينما أتطاول حدّ الماء كي أدفع بسفينتي فيه، وقعت. كانت قدماي ويداي تتحركان بكل ما تنطويان عليه من جنون وشبثٍ بالحياة، مدّ أخي يده إليّ، أمسكني.. ونجوت.

- بكاء؛ اللّه! ما كان أحلاه ذاك الانزواء التام، شطف الأشياء والأفكار والآخرين، تلك المرات والمرات التي احتبيت فيها داخل روحي.. فبينما كنت أعبر ذلك الغلاف السميك إليها، كان يهيج فيّ إشراقٌ لانهائي، وبكاءٌ تتقشّر معه لحاء كل ضغينةٍ أو ظُلمة.

- إصابة؛ حافياً أركض في الأزقة، دهست طرف زجاجة، شرخت باطن قدمي بقسوة ودون عمد، كان الوقت صباحاً، منذها عرفت كيف أخفي دمي وجرحي.

- عيد؛ اللّه أكبر، اللّه أكبر.. ها أنا بين إخوتي في المصلّى، مرتدياً كسوتي، وكلّنا على يمين والدي، سجّادتي أطول منّي. أصفّ فردتي نعليّ الجديديتين خلفي، وأجلس على السجادة.. كالكبار الذين يخرجون إلى صلاة العيد.

- خدعة؛ أول يوم لم أتمكن فيه من اختبار القيمة، أخذت شيئاً كان له يومها معنى عندي، سخروا مني، واعتبروه في تقديرهم زهيداً. أحببت هذا الزهيد ولم أشعر يوماً حياله إلا بالفخر.

- تينة؛ شجرة المخبأ في بستاننا، أسفل الدار، شجرة الأغاني والأشرطة المعقودة والثمرة الحالية، أول شجرةٍ أحفظها عن ظهر ظلّ، وتحفظني - حتى بعد أن جزّوها - يوماً عن يوم!

- مرض عنقز، أقدم اضطرارٍ للفراش، كانت بثوراً كثيرة، وكان على الأصباغ الزرقاء أن تحاصرها. شفيت وصار لي جسدٌ أزرق.

- صورة؛ فيما بعد صار على نصف طرفها اليمين ختمٌ أزرق، كنت حدّقت مثل قَدَرٍ في الكاميرا، وكانت أول صورة.

عشرون دقيقة ـ تدوير الرماد

عبدالله السفر

«كرتي . . كرتي» . .

العدّادُ النَّزِق بطعم النعناع ورضابِ الفراولة.

العدّادُ الأهبل انزلقت من شاشته سعاد حسني، ونجلاء فتحي فرّت من الجدار.

زجاجة «كندادراي» تركض برحيقها إلى فمي، وعلبة التونة تركل حصّة الرياضة. المعطف المرهون من أجل فطور كبدة؛ «يلعن أبوك يا جوع . . يرحم والديك يا مزاج».

المرفقُ الذي استراح على كتفي منذ خمسين عاماً واحتفظت به الصورة بطازجِ حرارته؛ الأليفُ المنسي في بيضة الطفولة فارَ سريعاً وانسكبتْ صلعته في ليلة عيد.

ستوبْ . .

ستوبْ . . قليلاً وتنهشُكَ المصابيح ويبول الضفدعُ في فم جارتك. أهي سهلة. لم تكن كذلك. اسألْ «القرد» في «سوق

واقف». ألف الصلاة والسلام عليك يا رسول اللّه يا محمد. يسقط الطبل.. يسقط الدفّ.. تسقط في الحضن مشمشة شاميّة. بفجاجةٍ تنشقّ القدمُ العابثة.

«كرتي.. كرتي»..

الشّعاع الأخضر. الكلبُ المخاتل. النابُ المجنون. الوقاحة ترفعُ عنانها في مِزَقِ السروايل. سبورةٌ منبوذة في ساحة القرية. قرعُ طبولٍ ومجسّم ذبابة يتقدّم طابورَ الكشافة. الذبابة تكبُرُ. قحفُ رأسي الفارغ تخشخش فيه عبارة «يوم النظافة».

عشرون دقيقة ـ نجاة متوقّعة

عبدالله العثمان

«سحقاً خطفت روحي بهذه الطريقة» هذه الجملة التي قرأها معلقة في أحد ممرات رأسه وهو مستلقٍ داخل غرفة باردة. الكل أسهم في اللحظة التي خشيتها ودافعت عنها بالكتابة والنوم والصلاة والركض والحذر وتقوية القلب بالطماطم وعصير البرتقال، ساهموا الملائكة بأرديتهم الفضفاضة والأطباء بنصف فرصة غير واضحة و«اسطب» السيارة الثمينة المتسبب بشكل مباشر. عطبوا مفاصلي وقطعوا خيوط أسناني وأحرقوا عدسة عيني، وتركوا لي ٢٠ دقيقة أحرث حياتي بعجزٍ تام. أقف عليها بعد كل هذا الوقت وكم تبدو صغيرة وغير واضحة وهشة قضيتها مخلصاً بأن تكون صغيرة وعادية وغير واضحة وغير متسببة في اقتصاد أو في دهس نملة. خشيت التسبب في مشاركة لأني لم أرجُ جدوى ولم أحرث عرقاً أو شعراً، أقف عليها وأنا الشخص المحايد الآن بعد ما نشفت محاجري، أقف متأسفاً وراضياً على ما قضيته طيلة عمري بالعيش بالتوقع وكسب الخسارة بالتوقع

وأن أحرز ابتسامة خفيفة في خد بنت جميلة بالتوقع وأنجو بالتوقع.

الطقس بارد جداً داخل هذه الثلاجة المعدنية وليس بحوزتي إلا القليل من الوقت وأنا في شدة الخوف والهلع. لن أعود للبيت، أعرف هذا، وإلى حد ما، أعرف أنهم هناك في ظهر غرفتي في الصالة يتابعون مباراة جيوفنتس وروما، وأمي تصرخ الآن من المطبخ على محمد «تعال تعال شل الغداء»، وأنا هنا وحيد بألم العشرين دقيقة بجسد بارد ونية زرقاء مقبوض عليها ومجمدة كدجاجة ٦٠٠ غرام، لم يعلم أحد بعد، سأرتدي خيالي وهو فاقد البصر والحيلة وبرأس نملة علّني أستطيع أن أخرج من هذه الثلاجة الباردة، عليهم اللعنة وعلى أنوفهم، جمد أنفي ولا أشعر به، والآن ليس بحوزتي ما يكفي من الوقت. يجب أن أسرع أريد أن أخرج وأجري وأهرب وأركض وأجزع وأعدو وأستعجل وأسبق وألحق لأخفي كل ما يدل على شخص مثلي نزق ويخاف على الدوام أن يستخدم في حكاية عاطفية.

عشرون دقيقة ـ وليمة ذكية للحياة

عبدالله حمدان الناصر

ثمة في الدماغ الذي تنسحب منه الكهرباء فجأة قصائد عالقة، جثث تتنزه، فتيات مبللات بالأرق، ألوان لم تجف، وعصفور كان سيقول: أحبك، لأحد ما.

قبل أربع ثوانٍ كنت أدير الحياة في جسد هذا الطبيب الذي نام عن الحياة أثناء محاولته الكتابة عن الموت.

أنا عقل هذا الرجل الذي يجلس في العربة (أ) في قطار شركة «فيرجن» المتجه من ليفربول إلى مدينة خنددنو الويلزية على المحيط الأطلسي. الرجل الذي يتخيل ويكتب كل ليلة مشهداً فاشلاً وناقصاً للدقائق العشرين التي تلي توقف قلبه عن الحياة، ثم يقوم بتمزيق المشهد، والمحاولة مرة أخرى في الليلة التالية. حدث هذا على مدار أسبوع تقريباً!

وبصفتي الآن دماغه الحقيقي الذي يستمر بالحديث عشرين دقيقة بعد الموت، أستطيع أن أصف الآن حقيقة ما حدث بالفعل.

بعد أن يئس الرجل الذي كان يتمتع بكامل رجاحتي من كتابة قصة موته، قرر أن يقطع تذكرة إلى مدينة صغيرة على الأطلسي، ويكتب في القطار نصه الدبق عن زهرة الموت، لكنه أثناء تخيله لمشهد الموت يموت بالفعل، تماماً في الوقت الذي كانت يداه تنقران بنعومة على جهاز اللاب توب، ورأسه مسنداً على مقعد القطار السريع.

المحاولات الفاشلة لتخيل زهرة الموت في جهاز الكمبيوتر الخاص بهذا الرجل تضمنت مشاهد من قبيل: الموت بسكتة دماغية وهو يجري عملية ولادة لسيدة في الخمسين، الموت باحتشاء عضلة القلب وهو يشاهد وقوع الملاك بالحب في فيلم مدينة الملائكة، الموت حزناً في الثانية الثامنة والأربعين وهو يستمع إلى موسيقى الملاك الحزين Igor krutoy، الموت جلوساً وهو منشغل بعدّ الملائكة كل مساء في غرفة أمه المقعدة التي ملت من الحياة، الموت سهواً في مغطس الاستحمام بسبب الإفراط بالسهر، والموت في سريره فجأة أثناء حديث حبيبته الهاتفي عن رحمها الذي فقدته في حادثة سير توفيت فيها أمها الشابة.

ما هو مطبوع في تلافيفي الآن أن الطبيب الشاب قد اختار قضاء عطلة نهاية الأسبوع في مدينة صغيرة شمال ويلز ليدفن روايته الوحيدة هناك في مكان سري تحت الصخرة العظيمة قبالة المحيط، وأنه قبل موته سيسرّ بإحداثيات المكان لفتاة لا يعرفها تتلذذ بالحديث في الشبكات الاجتماعية عن تفاصيل انتحار

سيلفيا بلاث وفرجينيا وولف والوقائع الغريبة لموت رياض الصالح الحسين وإدجار ألان بو!

لا شيء يحدث الآن حول الجثة المسافرة سوى الخضرة الوادعة المترامية التي تفتح ساقيها للقطار، والمطر الناعم الذي لا يتوقف عن الشغف. أما داخل العربة فالمسافرون يشربون القهوة، يتحدثون عن الطقس، يشاهدون فيلماً في أجهزتهم اللوحية، يقرأون كتاباً، أو يتبادلون القبل الدافئة. لكن لا أحد يلاحظ موت الطبيب الشاب منذ دقائق أثناء انشغاله بالكتابة في كمبيوتره المحمول، فالنعاس ينتشر عادة في الشمال وفي قطارات نوفمبر مثلما يتفشى الحب.

ساعة الرجل الذي كنت على صلة به لا تفارق معصمه. فمذ رأى في النوم أن أباه الميت يطلب منه أن يخلع ساعة يده، ويُلبسها إياه، وهو يحرص على عدم خلعها حتى أثناء إجرائه عمليات الولادة. كان يفكر أنه قد يموت في أي لحظة وأن عليه أن يكون جاهزاً لمنح ساعته لوالده الميت الذي أصبح مهتماً وعلى نحو مفاجئ بالوقت.

تك تك تك تك. تنبض ساعة الميت فوق معصمه. تك تك تك تك.

يُعلن سائق القطار عن المحطة القادمة. يبدأ مسافرون جدد بالدخول. يترجل آخرون. تتغير بعض الوجوه حولي وحول الطبيب الشاب الذي ينام مجللاً برحيق الموت. لا أحد يلاحظ

أن ميتاً يشاركهم الرحلة إلى المحيط. إلى خنددنو مدينة البهجة الفيكتورية والإكسترا فاغانزا التي كان يقيم بها أحياناً مؤلف «أليس في بلاد العجائب».

الميتات التي تخيلها الطبيب الشاب كانت تحدث في الغالب بحضور شخص ما كي لا يمكث لفترة طويلة دون دفن. المِيتة في حمام شقته تحت وبل صنبور الاستحمام كانت ميتة استثنائية فكر فيها وارتاح لها مؤخراً حتى لا يسبب القلق لأحد، ويحتفظ جسده بليونته. لكن موته وهو يكتب الآن في القطار كان مفاجأة حتى لي أنا عقله المفكر.

جسده الميت الممتلئ بكدمات الخيبة يمر الآن على القرى الصغيرة، على الأطفال في ملاعب مدارسهم، على الملابس الملونة فوق حبال الغسيل، على البحيرات والأبقار السعيدة التي تريح أردافها في المروج.

شيء يشبه معرضاً متنقلاً لجثة شاب غامض أخرج المئات من المواليد بيديه من بين أفخاذ نساء سعيدات وأخر حزينات. والواقع أنني لست حزيناً عليه بل ممتن لتلك الصفائح الدموية التي التصقت فجأة بأحد شرايينه وأنهت حياته بهدوء. فقد كان يفكر طوال العامين الماضيين في الحصول على استثناء من السماء يمنحه تقاعداً مبكراً من وظيفة الحياة. والحقيقة أن توافقاً لم يحدث بيننا على الإطلاق. فقد كنت على وشك الانفجار أكثر من مرة بسبب مزاجه المختطف، واستشهاداته الصغيرة المتكررة التي لم تترجم إلى موت واضح يستحق الاحترام.

وسط هدوء المسافرين الإنجليز الذين لا يتحدثون مع أحد، ويفضلون عادة حجز مقاعد في العربة الهادئة من القطار Quite zone، يرنّ هاتف الرجل الميت أكثر من مرة دون أن يرد، ودون أن يغلقه، وسط امتعاض زوجين في المقعد المقابل، ودون أن يفكر أحد في هزّ كتف الرجل الميت أو الاطمئنان عليه. يحدث هذا بسبب تقديس الناس هنا للخصوصية، وهو ما يجعل الموت وسط حشد هنا أمراً لا يلفت الانتباه.

كنت أشعر بالظلم والقمع طيلة وجودي داخل هذا الرجل. موجع أن العقول الجميلة تُمنح أحياناً لأطفال لا يتمكنون أبداً من النضج. أفكر أيضاً أنني سأدفن على الأرجح معه حين يكتشفون موته. لكن المريح أنني سأتفسخ وأنفصل مع الوقت عنه. سأصبح وليمة ذكية للحياة وأتحول إلى سماد أخضر في مكان ما.

عشرون دقيقة ـ عشاء الديدان

كميليا إبراهيم

هذه البويضات، أو ما تبقى منها... الصالح نسبياً، والجيد نوعاً ما..

هل كانت تستحق المحافظة عليها وجرّها إلى مصيري التافه ذاته؟.. هنا حيث تشاركني مُرغمة.. بلا أقدام تحملها للبعيد... تواجه موتاً تنتهي احتمالات حياتها فيه...

كان بإمكانها تلبية نداء النساء المحرومات في لوحات إعلانات المترو.. النساء الباحثات عن منحة أمومة دون التورط في جدلٍ أخلاقي فارغ.. واللواتي ينتظرن امرأة مثلي لتخطو خطوة إيثار متورطة في شهوة الخلود..كان يمكن لبعضها التحول إلى شعر مجعد.. أسنان لبنية وأصابع متعرجة قليلاً، لكني اخترت إحضارها معي..

هنا، في عتمة لم تكن تشبهني قبل قليل..

هنا، حيث لا شيء يشبهني سواي..

ولا شيء سيشبهني بعد دقائق..

ماذا سيحل بها الآن والديدان في الجوار تشم رائحة عشاء طازج؟.. كيف ستحتفي بها أول بكتيريا تصادفها؟ هل تُقيم مأدبة تدعو لها صديقاتها وتكتب في بطاقة الدعوة: «محاولة خلود انتهت إلينا.. تعالوا»؟!.. هل تُحصي عددها قبل إرسال البطاقات وتقضي وقتاً في اختيار المدعويين أم تلتهمها وحدها بهدوء أنانيّ كحبة كستناء، قاسية وهشة في آن؟!..

هل تغرق في عصارة مُرة حين تقضم قضمتها الأولى من مبيضي الأيسر المتضخّم؟ عصارة كانت تجتمع في أكياس مستديرة تُخفي المتبقي من احتمالاتي لمدة سنوات دون أن ألحظها.. وحين لا تجد بويضاتٍ فتية أو حتى شهية، هل ستغرق في إحساسها بالخجل من أنانيتها، كحالي الآن؟

أنا المسكونة بوهم الخلود، اعتقدت أني بحاجت إليها كلها.. اعتقدت أنها ستعيش طوال مدة تنبأ لي بها البرنامج الذي تبيعه امرأة بثمن بخس في الآب ستور.. «اثنا عشر عاماً، وتنتهي صلاحيتها كعلبة حليب فاسد» هكذا قالت لي.. وها نحن ننتهي في دقائق.. أو أقل..

رغم أن أظافري وشعري سوف يستقطعان وقتاً أطول ويتركانني أواجه موتي بأظافر ينقصها التهذيب، وبحياة لم تستوفِ حياتها، إلا أنه لا شيء يستدعي الندم سوى أسباب الشغف التي فشلتُ في استيفائها، ولا شيء يستدعي القلق سوى وقتي الـ ينقضي عما قليل، وحكاياتي التي لم يعرفها أحد ليكتبها..

كان يجب عليّ البدء.. !

كان يجب عليّ التورط في فضول العبث، وفتح العلب المغلقة في صدري بحثاً عن كلمات.. كان يجب عليّ كتابتي على الأقل.. أنا التي أعرف جسدي جيداً.. أعرف مكان الشامات الصغيرة القديمة.. أعرف شكل حلماتي.. أعرف اتجاه نمو الشعيرات الصغيرة أعلى ذراعي... أعرف ملمس بشرتي والنقاط البنية الداكنة التي تتركها الشمس وحروق السجائر بين أصابعي.. وأعرف أني أحمل بويضاتٍ ينقضي وقتها قبل حينه.. وقبل أن تتحول إلى شفاه تغطيها بقع شوكولاتة.. لكن هذه المعرفة لا تلفت انتباه أحد، وستختبئ في فراغات قلبي لتذبل فيها.. لن يصبح بإمكانها استثارة الأحاسيس الأولية أو استفزاز الوحدة التي جعلتني أحتفظ بوصفة الباستا مع اللوبستر في كتاب ثقيل دون أن أُحاول إعدادها.. تخيلتها فقط ولم أُشاركها مع أحد.. وها هي تنتهي بعد قليل إلى مجرد فكرة شهية على أحد رفوف القلب.. فكرة ميتة.. أو مستحيلة..

فكرة تشبه الشعر المجعد والغمازات..

أو تشبه شفاه مزمومة بانتظار حركة يد شبه دائرية تمسح بقايا الشوكولاتة عنها..

شفاه لا ينقضي وقتها..

شفاه لا ينقضي وقتي معها...

عشرون دقيقة ـ كلام السّعة

ماجد الثبيتي

العينان تلمسان الهاوية لأول مرة وبدهشة مطلقة، باتساع الحدقة تلتهمان الضوء الحارق، ضوء اللحظة التي مضت بي نحو الخارج.. اللحظة التي مضت بحياتي في غمضة قَدر.

سأوقن بعد صدمة قصيرة، أن هذا العالم الجديد الذي أغمره بجسدي المطفأ، قد وطأت روحي فناءه ولن يعد بمقدورها الفكاك. (صورة الطائر المتخبط في الفخ).

متشبثاً حتى آخر ثانية من لهاث العقل، بالنطفة التي جئتُ منها، بالذكريات الهشّة، بما تركت ورائي، وبما فعلت طيلة المطاردات التي عشتها من قبل.

و...

حتى لا أصدق حينها ما يحدث، سأفتش في حواسي عن كل ما يجعلني متصلاً بالأصوات في الخارج، والحيوات الملعونة التي تتسارع دون انتباه لفقداني.

أصرخ بكل جوارحي، أنادي على أمي أولاً «كما تفعل

الغريزة دوماً»، على الذعر المأمول، على اللّه، والمعجزات القصصية، في عودتي من حيث جئت. من الخطأ إلى الخطأ الأقل سوءاً، من العتبة إلى قاع البيت السحيق.

* *

ما أتخيله لاحقاً، هو ما سيحدث، العالم يتسمر بعدي.

* *

سأتذكر كل قشة، لأجل عدم إفلات الخيط الرفيع الذي يربطني بالعودة، بالبيت، بالطرقات المملة بين البيت والعمل، بالأهل والأعداء سوياً، بالحجارة التي تعثرت بها طوال طفولتي، بالجوارب الرياضية المميزة لأول يوم دراسي في حياتي، بالمطاردات الجنسية بعد الانصراف من مدرستي الابتدائية، بالقرية قبل بلوغي، بهسيس الأخطاء المبتكرة التي أسست عليها خلاصي من التيه.

و. . .

بالموسيقى الصادحة في رأسي، موسيقى السوط الذي حفظني من الجنون. .

* *

بعينين مغمضتين، يمكنني الإمساك بالطير في السماء. . . وبالنجم قبل أن يهوي نحو السحيق، تاركاً وراءه رسالة إلى أرملته الحزينة.

عشرون دقيقة ـ ثلاجة الجثّة

ماجد العتيبي

هذه المرة لن يملأوها بالجبن والمرتديلا والبروكلي الذي تحب، ولا يعنيهم أن تكون ماركة إل جي أو هيتاشي، الثلاجة التي سيملأونها بك، ممداً كسجادة مطوية انتهت موضتها، ولن تخطر أبداً على بال الباركيه.

هذه المرة ستعرف الفورمالين والانكماش البطيء يبدأ من الداخل نحو الاطراف على غير العادة. عشرون دقيقة قبل الانطفاءة الأخيرة، قبل أن تجف عجينة رأسك وتنتهي الأرغفة التي تسد أفواه الأسئلة العظيمة.

تباً هذا الوقت لا يكفي لترتيب فوضى المكان بينما صديق مع كوبين قهوة يطرق الباب.

لا يكفي للندم على الخاتم الذي لم أشتره لفتاة تدس قدميها الصغيرتين في صندل خفيف من «ألدو» وتخاف الأصانصير.

هذا الوقت الذي لا يكفي لتجهيز حقيبتي وقطع ٧٠٠ كلم، وتفقّد ركبتيّ أمي، لا يلزمني!

هذا الوقت الأقصر من نقلة مدروسة على رقعة الشطرنج، لا يليق كمهلة أخيرة لذاكرة رائعة تنفض الغبار كل صباح عن أوراقها وترش الماء على المداخل.

إنها الفوضى والخراب تخرج من الأفلام والروايات في شكل شحنات كهربائية، تلدغ دماغك الطيب ويذوب كمكعب أخير في كيس ثلج.

هذا الوقت لا يكفيني ولا يلزمني، سأعد مع الساعة ما تبقى من العشرين....

عشرون دقيقة ـ لا تفلت خيط العقل من يدك... أيها الموت

محمد الحرز

(١)

لا شيء من حولك يدل على ما قبله، روابط الأشياء لم تعد كما كانت. التحلل والذوبان هو ما تراه النظرات الكسيرة. لا شيء تمسكه من المعنى الصاخب ولا يغور. الفراغ الهائل الذي تركته شجرة الحياة بعد انتزاعها من الجذور أسقطك في سديم تنتفي فيه الحدود. وكأن فكرة الصلابة نفسها ذهبت مع ذهاب الجسد. الهوة عميقة ولا يمكنك أن تدرك ذلك، لا بالحواس، ولا باللمسات، حتى الزمن الذي كان يسقط على جسدك مثل قطرات المطر، ويفتّه من الداخل، ما عاد يُسمع رنينه، أو انزلاقاته على الجلد. الشجرة انتزعت من الجذور، والهاوية لا تدرك أنها هاوية. لا يجدي الآن التشبث بالأغصان، هل هو فعل الموت الذي يقودك إلى التفكير في هذه اللاجدوى؟ قد تكون الأغصان خديعة أخرى للموت؛ كي لا تراه عارياً على

حقيقته، ثم لا تغادر جسدك؟ الخديعة والموت توأمان سياميان لا ينفك الواحد منهما يغريك بالمجيء إلى مأواه، ولا أحد يفلت من هذا الإغراء دائماً. هذه حقيقة لم تشعر بها إلا لاحقاً حين همت بروحك بين الأرواح، لا السماء تظللك ولا الأرض كذلك، كنت تحافظ فقط على توازنك كي لا ترتطم بالنجوم أو بسرب من الملائكة. الذين تشبثوا بأغصانهم وأسلموا تبعثرهم إليها كما جسد يُسلم زمام نفسه إلى مقصلة كانوا يتكثفون عند نقطة مثل دخان، ثم فجأة يخترقهم ظل بارد، ينعش ذاكرة الأحياء فيهم، ولا يلبث بعدها، أن يعود بهم إلى بدايات اللحظة، لحظة الموت التي لا تعني لهم شيئاً سوى رفع الأسرار عن الحياة، وارتقائها إلى منزلة الحقيقة. أنت لا تعلم أكثر مما يعلمون الآن! فلا تغادر صروحك المحروسة بالرغبات قبل أن تختار بين الإقامة في الفراغ، أو الرحيل، فالندى المتشبث بأوراق الأغصان يعلم تماماً أن حياته مرهونة بمزاج الغيم وليس بسطوة البحار. لو كان لي الاختيار: أنا ماؤك القديم الذي اختلط بصراخك عند الولادة، كنت حفرت عميقاً في تاريخ رغباتك؛ حتى أصل إلى قلب الحجر، وأسد الثلمة التي يطل الموت منها على نفسه. أيها الفرس الحرون، عشب البراري ولا عشب الحدائق المشذبة، صدى صهيل الوادي، ولا صدى صهيل الحقل، أنفاس الريح، ولا أنفاس البشر. أنا ماؤك القديم أضعت المجرى إلى الجذور. لكنني لم أُضِع جهة القنديل المعلق على مشجب أيامك. هات ما تبقى من أحمال الهواجس

الملقاة على أكتافك؛ حتى تخطو نحو اختيارك الأزلي، ليس موتاً أو حلماً، ما تظنه كذلك، ليس سوى الحطّاب وهو يخلع أبواب أعضائك واحداً تلو الآخر؛ كي يعود بها إلى الغابة مرة أخرى. اختيارك الوحيد هو أن لا تدعه يخلع ذكرياتك أيضاً، فصراخها يوماً ما، ربما تجفل الأغصان منها، فتعيدك إلى الشجرة مرة أخرى.

(٢)

أبحث الآن عن لغتي، لا أجدها، أفتش في حنجرتي عن صوت يدلني على أقرب حرف فيها. لكنما الصوت، والحنجرة أيضاً يصنعان لهما لغة خاصة، لا أفهم المغزى منها على الإطلاق. هذا هو اللسان خال من الكلمات، ولا أثر، سوى لكلمة هاربة من حلمك ليلة البارحة، مجوفة من الداخل، ولا معنى لها. أرى ما لا يراه الأحياء. لكنني لا أرى لغتي، والضجيج الذي يعلو حولي، لا دخل للجسر الذي وضعوه على جسدي ؛ كي أعبر. بريق العينين انزلق هارباً من نظراتك، لا تعول عليها كثيراً، لن تصل أبعد من مدى كفيك. أحاول ملأ جسدي بالماء؛ حتى تطفو لغتي على السطح، أستعين بدمي بعد أن أكشط عنه اللون الأحمر القاني، وبعد أن أرمم الخدوش التي سبّبها الألم. لا يطفو شيء سوى أفكار هاربة من عقلي، لم تستقر على معنى بعد، وذلك من هول الصدمة التي صدعت جدران حياتها من العمق. ها أنا ذا، ينبهني الواقف على حافة

القلب، ويقول: لم تتبق لك نبضات هنا، ألا تشعر بها تنسل من العروق والشرايين، كما ينسل نهر من مجراه. تنسل حياتك من حياة الآخرين، وببطء تنسحب إلى عالمها الآخر، وكأن عنكبوت العزلة ينسج حولها المعنى الجديد الذي أهداه الموت إليها. تأمل جيداً كيف يكون المعنى، حتى لو كانت لغتك لا تنفك تغادرك حرفاً حرفاً، وهل هناك غير عقلك يرسل إشارته، كي تميز الحقيقة من الوهم؟ شمس الحقيقة لا تنكشف لك دفعة واحدة، فالإشارة التي تُرسل لك، الوقت يحد من حركتها، بحيث لا تشعر سوى أنك في لجة البحر قد أصبحت وحيداً، وأن الأمواج التي حملتك إلى هنا تعرت أمامك، وانكشفت حقيقتها، ولم تعد قادرة على ملامستك بعد الآن.
الوجود لا ينشق لك مرتين، ليعطيك سر ثماره، هذا ما أقوله لنفسي؛ كي أقنعها أنني في عالم آخر، أهو الموت كما تسميه لغة الناس الأحياء؟ أهو الإله الذي يمكن أن أراه في أي لحظة الآن كما قيل لنا هناك؟ عجيب أيتها الحياة الجديدة، كيف لا أعرفك، رغم أني أدرك أن هذه الكلمة (الحياة) فقدت روابطها ومعناها، فلا دليل هنا ولا علامة تشير أبداً. أليس غريباً أنني لا زلت أفكر بطريقة البشر الأحياء، فإذا كنت كذلك، فمن أين جهة إذن تأتيني فكرة العدم، وتستحوذ على ما تبقى من مخيلتي هذه اللحظة؟ سابقا هذه الفكرة لا وزن لها ولا رائحة. مجرد طائر صغير، يغرد على شجر العقل. وكلما أصغت إليه المياه التي تتدفق في الجذور، طردته الأشجار من الغابة. لكنها الآن

تزيل الأقنعة بزوال الجاذبية عن الأشياء: الوجوه التي امتلأت بها حياتي، لا يحكمها المنطق في العبور إلى ضفتي الأخرى، وجوه كانت مطمورة تحت تراب الذاكرة، فكيف استيقظت الآن وكأن يداً تنبش ما تكدس من صراخ في ماضيك البعيد. هي لا تمضي بعيداً، وأنت لا تقترب. لكنك تكتشف فجأة أنك لا تملك في معرفة هذه الوجوه سوى سمة الحياد. وهي سمة تحيط بك من جميع الجهات، والمأساة فيها هو أنك تعودت دائماً أن تكون منحازاً في حياتك السابقة، فكيف تحوّل الانحياز إلى حياد؟ أليس هي الدلالة الكبرى على العبور؟ لذلك يصعب عليك تتبع سيل الصور التي تهرب تباعاً من أيامك، وتمضي إلى هاوية غائرة في المجهول. ترتد على نفسك فيما يشبه الخيبة، لأن ما خلف تلك الوجوه، تسير قافلة من حشود الذكريات، لا أنت ترمي حصاتك، حتى تتوقف، ولا أنت قادر على اللحاق بالركب. ينفلت خيط العقل منك ولا زلت في البدايات. يزداد اضطرابك لأن تفاصيل حياتك بدأت تقترب منك، في اللحظة التي بدأ فيها البياض يزحف ببطء، كي لا توقظك إبرة العدم. ترى الآن إلى رغباتك تذهب، وأحلامك التي لا زالت تحبو في النوم تتأمل مرآتك العالية، والذين أحببتهم وعرفت عاداتهم في الحياة لا يأتون من فرط شدة حضورهم أمامك. لا تحرك الخيط بقوة، حتى لا ينفرط أكثر، فتغيب في الصمت مثلما هو يغيب فيك. دعه يتلوى عليك مثل أفعى فأنت لن تراهن على موت، قد جلب الحظ لك مسبقاً.

عشرون دقيقة ـ لو

منال العويبيل

يا للسلام!

صوت ضحكة اللّه في مطر الطريق، ومَلَكٌ طيب يجلس عند النافذة دون مظلة، لإعطائي فرصة وداعي.. لقد انتهت الحكاية: لا مزيد من صوت منبّه الصباح، لا مزيد من زيارة الطبيب كل أسبوعين لإبرة الصداع النصفي، لا ترقّبَ لتأخر أو قدوم مبكر للطمث، واللهاث في سبيلِ مسكّنٍ جديدٍ وأقوى مما سبقه، لا قلق من شيخوخة تستلزم نوعاً جيداً من حفاظات السرير ونوعاً أفضل من الممرضات.. والأهم، أن لا مزيد من انتظار قدومه.

فقط لو كنتُ أعرف أنّه الصباح الأخير الذي سأصحو فيه لاستيقظتُ قبل رنين المنبه بقليل، وشربتُ - ولو لمرة - كوب شاي الحبق قبل ذهابي إلى العمل أمام نافذتي، التي أسميها «شرفةً» على سبيلِ المجاز، لسمحتُ للعصفورةِ التي رميتُ

عشها قبل يومين أن تبيض فيه؛ لينبت على نافذتي صغاراً لم يستطع حَمْل مثلهم رحمي الأخرس.

بل لو كنتُ أعرف ما سيحصل قبل ساعةٍ من الآن هذه الليلة، لارتديتُ بيجامةً أفضل، أو فستاناً على سبيل الشاعريّة، وما كان ليضرّ أيضاً لو قصصتُ غُرّةً تمسّدها أمي وهي تبكي بقربي بعد قليل.

ولو كنتُ أعرف قبل لحظاتٍ من الآن لكتبتُ ملاحظة أقسم فيها بأني استحممتُ منذ قليل، ذلك النوع من الاستحمام الذي يشمل صنفرة البشرة ونوعين من الصابون وغسلتَي شامبو، وأنهم لو لمسوا دواخل شعري فسيجدون في خباياه بللاً على سبيل الدليل، ولأجل ذلك ليس عليهم غسلي بعد قليل.. كان عليَّ أن أترجّى أمي - في يومٍ سابق - أن تفهم كم يرعبني في هذه اللحظة أن يوكل تغسيلي لنساءٍ غريبات، التجهم هو أحد أعراض عملهن الجانبية، لكنّ الأمر كان سيتطلب مجهوداً لم أظن أني محتاجة إليه قبلاً، كما هو الأمر عندما انهزمت في إقناعها حول فكرة دفني في مكانٍ سيسمح لشقيقتي بزيارتي يوماً بباقةِ حبقٍ وقصصٍ لطيفةٍ مثلها عن الحياة، لأقصّها بعد ذهابها على طريقتي لأصدقائي في الأبدية.

لكنْ عليَّ أن أعترف - على نحو المكاشفة الأخيرة - أني لم أكن بطلة قصة حياتي في كثير من الأدوار، ولذلك قد يكون موتي الآن عادياً كسقوط الكومبارس في إحدى زوايا المشهد

عادياً، وربما كان يحتاج إلى التذكير، وربما لذلك لا تمرّ حياتي أمام عينيَّ الآن كشريطٍ سينمائي، أو حتى فيلمٍ قصير على الأقل.

كم مرّ من العشرين دقيقة؟ هل هناك ما يكفي للتفكير فيه؟ ماذا سيفعل حين يعرف عن موتي؟ ما الذي سيقوله؟ هل سيأتي؟.. متُّ ولم يأتِ! هكذا إذن! أنا التي جئته في الحياة ركضاً أول ما فُتح لي باب حبسي، في يد كتاب وفي الأخرى قلب!..

وما دام الأمر سينتهي على هذا النحو، فلمَ لم أمت قبلاً؟ لأحمله على كتفيّ طوال حياتي مذ دخلها، ويربض الآن على صدري باتجاه الأبدية؟.. لو كان الأمر بحسابات الأحياء فهذا ليس موتي الأول، هو يعرف ما فعله بي جيداً، وهو يمسك بثديي طوال تلك الليلة، وكأنه يبحث عن قلبي ليفقأه. نعم، لم أسامحه، وظننت أن مثل هذه اللحظات ستفعل، هل ينفع أن أقول أني أريد صدره، وكل اعتذارات بناها رأسي فقط طوال الفترة الماضية ولم تحدث، ونشطب صفحي؟

على كل حال هي أمنية أخيرة جداً جداً جداً: صدره.

كثير يا الله أن أموت في حضنه؟! ليس رغبة في قصةٍ كبيرة لموتي، أنت تعرف.. لكنك تعلم أيضاً كم شاهدت أفلاماً وقرأت قصصاً عن الأمنيات الأخيرة، وظننت حين لم تُفلح معي قصص الحياة أن ذلك سيرتب لي أمنية أخيرة للموت؛ وهي ألا

أموت وحيدة! وعلى نحوٍ دقيق، وحيدةً دونه.. أن لا أذهب إلى الأبدية دون أن يحمل أنفي لمرة أخيرة رائحة صدره.. لقد حققت يا اللّه للكثيرين أحلام فِراش الموت، تصرّف أرجوك، قبل أن تنتهي لحظاتي هذه.

يا اللّه! لم أتغيّر كثيراً حتى بعد عشرين دقيقةٍ من الموت، ما زلتُ أفكر فيه.. لم يكفِ أرقُ كل الليل، ولا السرحان الطويل في اجتماعات العمل وأنا أدوّن ملاحظتين محبوكتين لو فاجئني أحد بسؤال، ولا البكاء الذي أعضّ فيه على بطن كفيّ كل ما مرت أغانيه وعجزت أن أطلب إسكاتها، ولا إغلاق الهاتف ثم تشغيله في حركة خاطفة كالتماعة ضوء باب براد؛ لأنه قد يتصل.. ولم يفعل، ولن يفعل.. يا لطول أملي وغبائي الذي يدعوني في هذه اللحظة إلى الاعتقاد بأن إشارة الهاتف قد يكون مبعثها رسالةً منه! ولذلك قبل أن أتهوّر وأرجوك يا اللّه بأن تقايضني بعودة قصيرة للحياة، لأتأكد فقط إن كان هو من بعث تلك الرسالة التي تضيء على هاتفي الآن، سأجزم مع نفسي بأنها رسالة دعائية من إحدى شركات التأمين على الحياة، أو قروض عقارات بيت العمر، ولم أعد معنية بأمور كهذه.

حسناً، هي فرصة أخيرة للتغيير قبل التهائي بتفاصيل الجنازة.. نعم، يكفي! إنها فكرة سخيفة أن من لم تأتِ بهم حياتنا، سيأتون لوداع أجسادنا، نعم إنها فكرة سخيفة، ولا أمانع لو كتبتها في وصيتي التي لم أحتج - أو هكذا ظننت -

إلى كتابتها سابقاً، وأتمنى أن تنتهي العشرون دقيقة قبل أن أندم على ذلك.

كانت نيّة بيت، مجرد بيت، يشار إليه بعدي الآن: كانت هنا، ذاك بيتها، يبحثون عن صك ملكيته بعد أيام العزاء، أن أشعر بظهرٍ يُسنده بيتٌ تنام وثائقه التي باسمي في درجي أنا، كي لا أضطر في حياةٍ قادمة، كما حصل في هذه، أن أخرج من بيت أبي إلى بيت رجلٍ آخر، ثم أعود وقد سُدَّ فراغي.

كان لي بيتي الصغير أقله، باسمي ولي، ولو كان ذلك على نحو المجاز، أشكره كثيراً وأسلّمك إياه الآن يا اللّه بكلّ رضا.. كان جسدي شجاعاً بما يكفي ليحتمل كل ما مرّ بي من وعكات، حادثا سيارة، خيبتان عاطفيتان، نوبات الصداع النصفي، قلة النوم، والكثير من الأطعمة السريعة.

طيب، لأفكر بفاتح شهية مناسب للموت الذي تمرّنت عليه كثيراً، كنوعٍ من الإحماء الأخير على الأقل: هل يعني ما يحصل الآن أنّي سألتقي صديقتي؟ عندي الكثير من «السواليف» لها، ذلك النوع الذي يتطلب ريقاً جسوراً... وجدّتي أيضاً؟ أتمنى ألا يوجعها مجيئي، مؤكد أنها ستتفهم.. لكن أتراهما ستفهمان أي وجعٍ يلتهمني الآن قبل أن يفعل الدّود فيّ، أني لا أحتمل فكرة أنْ أموت وأتركه خلفي، برغم أنه من صنع بي ذلك في الحياة!

خلاص، ستكون هذه آخر عشرين دقيقة أفكر فيه.. وعد.

ماذا أيضاً؟ جيد، القفل السري على هاتفي سيفيد في وقتٍ كهذا، ثمة صور غبية ورسائل أغبى لم يتم إرسالها، أفضّل أن تظل كذلك. لحظة، هل فعلاً الأمر كذلك؟ عليَّ أن أكون صادقة جداً في لحظاتي الأخيرة جداً، ربما كان عليَّ إرسال تلك الرسائل على سبيل الخلاص، المشكلة أن برجي لا يحب النهايات الحاسمة.. ماذا لو عرفت الآن - على سبيل التغيير - أني من برجٍ حاسم، وأن ملاكاً أخطأ في مستندِ تاريخ ولادتي المفترض؟ ألن يجعل ذلك موتي مختلفاً أيضاً؟ وبوضعيةٍ أكثر هيبة من جلستي الحالية؟ وأقل اندفاعاً للّعاب من زاوية فمي؟

لو بيدي الآن مكالمة أخيرة، أو مكالمتان.. طيّب، مكالمة أخيرة ورسالتان، لكنت هاتفتكِ يا فجر، نعم أنتِ وليس هو، فقد كنتِ نجاتي، ولمسة اللّه كانت في صوتك على صدري، كنتِ الصدق الذي لا ينهر ضعفي الذي يرجو من لوى قلبي بالعودة، ولا يعاتب هرولتي للنسيان مع أول عابر، كنت تنظرين إليَّ من شرفتك التي تكسوها غابتك الصغيرة بعينِ حبٍّ وصبر، كنتِ ربتي.

الرسالة الأولى لأختي التي سأخذلها بمدفنٍ ممنوعة عن زيارته، ولذلك سيكون لها خيار مفتوح في التصرف في كل ما في صدرها لي.. «نعم لكِ كل ما هو لي، كما في الحياة، من أول الأقراط لآخر فردة جورب».. وسأحمّلها عبئي كما فعلت في الحياة، لي أصدقاء يستحقون كلمات أخيرة وحدها ستعرف

كيف تقولها، اثنان على الأقل.. لكن مساحة الرسالة الأهم لها: سامحيني، ظننت أنه سيسنح لي وقت لأكون أختاً كبرى بشكلٍ أفضل.

أما الرسالة الأخرى فلأمي، أغشّشها الأجوبة التي ستحتاج إليها قريباً، قولي لهم «قولون» يا أمي، حين يبدأ الحديث في المجلس عن موتٍ جرّ لي انتفاخاً بهذه الغرابة، كانت ملابسي في السابق تخبّئه جيداً، وأنّ حنطة وجهي لا يُتوقع منها بياض طارئ للبِشارة، لكنني لو خُيّرتُ لرجوت اللّه في صلاةٍ طويلةٍ قبل قليل أن أكون مبتسمة..

هل أنا كذلك؟ لا أدري! الزاوية التي أراني فيها الآن لا تسعفني لأحكم..

لأكن مبتسمة يا اللّه، أبي يحتاج إلى أمرٍ كهذا.

لكن، كيف أقولها؟ آاا.. لا أريد أن أموت يا اللّه.. لا أريد الآن تحديداً، امنحني فرصة، استدع ملاكك المتململ على نافذتي وأعطني موعداً آخر، أرجوك، لا أريد أن أموت وهو في قلبي، أرجوك أرجوك أرجوك، امنحني فرصةً قبل أن تنتهي الدقيقة العشـ...

عشرون دقيقة ـ صديق المهرج

منصور العتيق

إلى سعود السويدا، حياً، بالضرورة.

يقول سعود إنني تأخرت عن الحياة بمقدار صفحتين، ومهما قرأت بشكل أسرع فإن الحياة لن تتوقف عن الكتابة، يقول سعود، على سبيل التأبين، إنني قارئ قصص جيد يفضله الأطفال، وإن مستقبلاً ضاجاً كان ينتظرني كمهرج مقتدر لو أبديت مزيداً من الاهتمام بصحتي العامة وراقبت شتائمي النابية التي طالما صفقت الباب خلفها من فمي دون قصد. يقول سعود إن التفكير، مجرد التفكير، قد استهلك حياتي، يقول - على سبيل التأبين أيضاً - أنني بطل العالم في التفكير.

أنا صديق المهرج ولست المهرج، يعرف سعود ذلك. يعرف أن بإمكاني أن أكون أي شيء إلا أن أكون صاحبكم، أنا صديق عازف البيانو الذي يحمل معطفه خلف الكواليس وينتظر، أنا زوج خالتكم الذي لا تذكرونه وبالكاد يتذكر نفسه

ليذكّر أنه زوج خالتكم، وأنا صدع خفيف في جدار بيتكم، صديق مهندس الصوت الذي أنهى قبل يومين أغنيتكم التي تحبون، أنا لغزكم الشفهي الذي كان دارجاً مع إجابته في التسعينات الميلادية، اسألوا سعود وسيخبركم أنني كنت طوال الوقت جانبكم، وأن فرصتي الوحيدة لديكم جاءت لأنني لا أتقن المغادرة، لأنني صوت القطار الذي تظنون أنكم تسمعونه عند إصابتكم بالصداع، الصوت الذي لا يزعجكم ولا يترككم لأنه محض خيال فاسد تمليه حاجتكم للمس، لكونكم مهمين ولكون الكرسي الذي بجانبكم لا يريد أن يكون فارغاً.

زارني سعود بعد أن رحل الطبيب، قال الطبيب إن مهمته قد انتهت وغالب حرجه وغادر إلى استراحة الغداء، زارني بعد جمع غفير بدا لهم وجهي النائم مثل بئر يلقون فيها أمنياتهم ونظراتهم المغلّفة بالشفقة، زارني بعد شيخ حاول إبقاء سبابتي مبسوطة وقرأ: «نزلاً من غفور رحيم»، جاء متأخراً وقال لي إنني سأصبح سيداً على ما تبقى من حياتي، كان يتكلم عندما غفوت، عندما تسلل نمل النوم الأخير إلى خلايا دماغي التي لم تقتنصها الغيبوبة التي استضافتني في الأشهر السبعة الأخيرة، كان يتكلم ويقول إنني ولو أصبحت شجرة، فإني سأكون بلا ظل يشقيني القلق على مستقبله، ولو كنت أغنية فإنني سأرقص بنفسي.

على الضفة الأخرى كانوا يتكاثرون بوضوح، أموات العائلة المستعدون لسؤالي عن ساعاتهم الثمينة التي تركوها خلفهم،

وظائفهم التي تركوا في أدراجها يوماً ناقصاً. ملوِّحين وباسمين وودودين لولا وجوههم الرمادية وملابسهم المتحفظة، لن أسألهم لماذا كفوا عن زيارتي في منامات أيام الخميس وتركوها نهباً للكوابيس سيئة الحبكة. أخبرني سعود أن أترك خلفي التذكارات والصور بما فيها هاتف الآيفون الذي لن أحتاج إليه هناك، وأن أصطحب معي حس النُّكتة لأن الناس على الضفة الأخرى يشعرون بالضجر.

كانوا يتكاثرون على الضفة الأخرى هناك، توقعت استقبالاً حاراً لكنني ذبت من بينهم وأصبح لي لونهم وملامحهم، العالم طيب هنا ومثالي، نبدو كمهاجرين متشابهين لكننا لا ننتظر شيئاً إذ لا يوجد زمن، قالوا لي إنني جئت مبكراً، وأمي أعدت لي زِيَّ مهرج كنت أتمنى اقتناءه عندما كنت صغيراً، في المساءات التي لا تنتهي كنت أرتديه وأروي نكاتاً عن حفاري القبور، عن تجار ملابس الموتى في سوق «الحراج»، وفي الليالي الخاصة أروي حكايتي المفضلة عن رجل يقول سعود إنه تأخر عن الحياة بمقدار صفحتين، وإنه مهما قرأ بشكل أسرع فإن الحياة لن تتوقف عن الكتابة... إلخ.

عشرون دقيقة ـ نزهة على طاولة

نهلة محمد

اختنق عصفوري أخيراً، لم يعد بإمكانه أن يتحقق من زرقة السماء مرة أخرى. . .كانت حنجرتي تنفث ريشه مع زوائد الوقت كمهرجانٍ على «الضَيّق». .

وأنت يا أبي تجمع الريش، تضحك بما أوتيت من لهفة. . أمامك كانت أذرعي تذوي ويدبُّ في جسدي سرب من النمل، ينقبني ويستقر في مخيلتي الأخيرة. .

على البال صورتك ممتداً على السرير كجملة طويلة لا تعرقلها النقاط، كمؤنةٍ لطريق ينحدر بك نحو مُستقري ويشِمُك فيه بماء الزهر. . على البال أنت في الوقت الذي أتحول فيه بشكل فجّ إلى صورةٍ في محفظة، إلى كلمةٍ تُقال وتُنسى، إلى صرخةٍ بنَفَسٍ قصير، إلى أُمنية تُولي مدبرة. . .

على البال مَجلسك الذي أبدلناه قبل أن ألقي بالعمرِ من النافذة كفاتورةٍ قديمة. كنتُ حينها أقل من صَبّارة وأكثر من

صَيحة، بيني وبينك جسرٌ تمسك بطرفيه أرض لا تميدُ إنْ حزنتْ ولا تخونني إنْ اشتد بأسُها. .

على البالِ بيتنا يوم خذلناه وتركناه للحنين جُحرا دافئاً. . خلّفناه لساكنٍ سيهُمُّه في البدء أن يُجدِّدَ طلاء ظلالنا، سيهتمُ بطرد الصّدى الذي لا يخصه، ويجدد تأثيثه بذكرياتٍ على يُسر حاله. . .

على البالِ ألبوم صوري، الذي أضاع هيبتي، وحدها أمي كانت تراني فيه غزالة. .

على البال المرأة التي استحم البحر بحديثها فصار عظيماً، عميقاً، متموجاً بالأسئلة. . المرأة التي تعرف ما يعنيه أن أتعثر ثم أقف بعد نوبةٍ من الضحك، لأسخر من الفجائع الصّغيرة بشكل علني فاضح. . المرأة التي تُقلق الليل بالدعاء والبكاء والصلاة، ثم تنام على سجادتها كمسبحةٍ مُتعبة. . المرأة التي تراني طفلة، قفزت الحياة على جدائلها حتى اهترأت، وما زالتْ بنفس العينين العميقتين ونفس الكلام المُرتبك. . على البال تلك الأم التي أعتذر للّه فيها، عن كلِّ لحظة أغلقتُ بيني وبينها باب الكلام بقوةٍ وهربت، عن مرةٍ كنّا في بيتك ولم أدفعْ عَربتها، عن يومِ ألقيت فيه بكأس العصير على جدارٍ كان يسندُها، ويوم كذبتُ عليها لأجل نزهةٍ على طاولة!

على البال صوتُك،وهو يحتجز تعبي في ركن بعيد ويحول بيني وبين الوحشة فينقلب إلى قنديل وعفريتٍ لطيف وفكرةٍ مُؤْنِسَة!

على البال الرجلُ الذي حَملني يومَ كانتْ كل أحلامي حصانٌ و « ولَفّة » حول خاصرةِ حديقة، الأسمر الذي اعتنى بحُزني لنهارٍ كامل كي لا يَسْتحيل غولاً. العاملُ الذي بكى عندما ضيّعتُ صورة ممزقة ورثّة لطفلته..

على البال «عُـودُ» تلك العجوز، العُود الذي تستخدمه كي تَـلكز الليل بآهةٍ مستهلكة، وتدير قلبي للغناء دون علم.. يـا اللّه كم فاتني الاستمتاعُ بصوتي!

فاتني أنْ أُيمّم حنجرتي نحو نُوتة، أطلقُ ماردها كي أتحكم في الحياة لمرةٍ واحدة وأُسقط مِزاجها السّيئ في يدي..

فاتني أنْ أصبحَ فراشة ربيعية تترقب النّور، تتلصص على الوردِ بُغية أنْ تحظى بصورةٍ فريدة للأرض في ذروةِ الأمل..

فاتني أنْ أقفَ على السّور أعلى البنَاية، وأجرّب النّظر إلى نوايا الناس، أجرّب نفسي عندما أكون شوكةً صغيرةً في قدم الخوف كما يُحاول الصّبيَة أو تفعل قطة هاربة..!

فاتتني حربٌ بنادقها لا تطلقُ إلا الورد، تنتهي بحصيلةٍ جيّدة من الحب، إنها حربُ الكلام عندما يتحولُ الحديث بين عاشقين مُكابرين إلى مشروعٍ لبستانٍ غير موثق..

فاتني أنْ أختارَ حياتي، أن أختارَ أصدقاءَ لا تهمهم الطرقات كثيراً، لا يخزيهم فَقري ولا تُؤثر في ولائِهم الخناجر. فاتني فيما فات أنْ أختارَ اسمي ولا أَتلقاه كمن يتلقى بريداً لا يهمه..

أنْ أتقمصَ حياة سمكة، أنْ أُجهز قلبي بدرع، كلما بالغت الحياة في إيذائي صدها السّلوان، أنْ أغلق بابي جيداً، قبل أنْ أنسى أنّ العمر زائرٌ ملول. .

فاتني أنْ أرقد ليلةً دون أنْ أتفقدَ هاتفي، أمرُّ على صوري القديمة، رسائلي، طلبات المنزل المُهملة ومحادثات كان يمكن تأجيلها لهذا الوقتِ من الضجر. .

فاتني أنْ أختار بروازاً يليقُ بصدرِ مجلس، لا أحبُّ أنْ تضيق على وجهي الأيدي، أحبُّ أنْ أكونَ حُـرّة في بروازٍ لا تخنُقه الأُطر. .

فاتني أنْ أجمع الرّيش وأصنع منه طيراً يتحدث عني عندما أُجهض من الذاكرة! ...

كل ما كُتب سابقاً مُهدى إلى. . .

إلى «روبنزل»، المرأة التي تدلى شعرها في أحلامي، وودتُ لو أستيقظتُ مثلها بشعرٍ طويل أرميه من عُـلوٍّ العاطفة وأكسبُ قلباً. .

عشرون دقيقة.. فم الوحش

هيا محمد

كيف أبدو، هل أبدو بشكل جيد؟ مقبول على أقل تقدير؟

لا أريد أن أبدو كدمية ملقاة بفم مفتوح وأطراف رخوة، ربما لا يهم الأمر كثيراً فيما لو كنت لا أعي ذلك، لكنني هنا، هنا بالضبط في الهواء الغريب الذي يفرك أسنانه بطريقة عشوائية، ما زلت هنا أستوعب كل شيء، لكن فم الوحش مغلق ويستعدّ لمضغ ما تبقى من الوقت.

إنني أسمعكم جيداً. . .

ماذا سيحدث الآن، هل سأرى شيئاً لم أرَه من قبل وأنا في هذا الانتظار الذي لا أستطيع تقديره؟

يا اللّه كم أمي مؤرقة بهذه الرحلة، بعد غيابي بقليل، بما سيحدث لي وفقاً لما تظنه هي والآخرين بي، لكنني لست سيئة، لست سيئة يا أمي، أنا فقط لست أنتِ، أو هم، ولم أعتقد يوماً أنكم سيئون أو تستحقون العقاب فيما بعد لهذا الاختلاف بيننا. .

منذ الآن. . .

سأوفر دقيقة أو اثنتين لأشتم فيها الموت، حينما كنت أنتظرك، وأدفعني إليك في كل وقت، وأرمي بي عليك، وأقول هيت لك، أغفلتني ولم تمر بي، وحينما أسقطتك من قائمتي، وضعتني أنت في أعلى قائمتك. .

فقط لو أتيح لي المزيد من الوقت، سألقي نظرة أخيرة، سأضمهم إليَّ بنظرة أخيرة لن تستغرق ثانية أو أقل. .

هل الموت بارد. . ؟

هل هذا ما يحدث فعلاً، هل حقاً متّ، هل هذه هي اللحظة الـ . . لست متيقنة بشكل قاطع، لكنني أعلم بأنني أصرخ دون أن يلتفت إليَّ أحد، أشعر بأنني أقف في الفراغ، وصوتي يصفع جدران رأسي ليعود إليَّ بشكل مفزع. .

وأنا. . أنا في فم الوحش أرى ما أعتقد بأنه شجرة.

عشرون دقيقة ـ في المساورة

يحيى امقاسم

لا بد أنني قبل دقائق متحفز لفكرة أخرى غير الموت، ولن أكمل عشرين دقيقة لاحقة في إنجاز تلك الفكرة التي سأتخلف عن إكمالها ـ ربما قليلاً ـ. .

في الدقيقة الأولى مع الموت سأتعرف لأول مرة على الخوف وسأعالج مصافحته بلجاجة أخشى على الإنسان بي أن تنزعه إلى درجة الهلع وهذا ما ترفضه القبيلة.

في الدقيقة الأولى لن أفكر في أمي ولا في بكائها الذي يصلني معاتباً وهي التي طيلة ثلاثين عاماً ترجو أن أعود إليها من البلدان القصية ونقتسم الرغيف والماء ثم الموت نصطحبه سوية.

في الدقيقة الأولى سأرفع يدي إلى ياقة قميصي وأصلح تهدلها أملاً في استطاعة الموت على تفهم الحالة وأنني أرفض أن يقبض على ساعدي كمجرم فار من العدالة والشمس، فلي

الحق أن أهذب شيئاً من هندامي المتواضع في حضرة الحقيقة الأخيرة كما يدعون.

في الدقيقة الأولى سألوّن مفاصل العمر بما استحليت له من ألوان ولن يعارضني أحد، فلم أعهد ميتاً يختار شيئاً ويجد من يمنعه حتى عن برد العظم، وهذا ما يشجع الكثير لتقبل الذهاب ولو على مضض القلب الذي كان يرغب في تنفيذ فكرة جديدة عن الحب وله فتاة تنتظرها.

في الدقائق التالية من العشرين دقيقة سأعوض ما فات الموت من حفاوة اللقاء، وسأتقمص خشية من المهيب تقديراً لمنجزه الأزلي وسأرخي المعصم في دلالة على رضا المريد.

في الدقائق التالية سأتذكر رائحة الصابون الذي تحدثت عنه ذات مرة فتاة تمنيت لو قبلت عينيها، وسأتذكر ساعة «ويسترن» فاخرة كقلب صاحبها الذي أعارني إياها وأضعتها، وسأتذكر كلباً صغيراً آويته في خزانة البيت، وسأتذكر أول شخص يرسم المراودة الرخيصة، وسأتذكر أبي يبيع البندقية، وسأتذكر أبي يعض جبيني ويفركه مخفياً أسنانه.. سيخجل من أمي، وأمي سأتذكرها لا تفعل شيئاً وتبكي، وسأتذكر جدي وصدره أدوات حرث وعصافير نهمة، وسأتذكر سعادتي بحذاء من البلاستيك والقمر، وسأتذكر مسلسل «الحب وأشياء أخرى» يحفز الصبر بي، وسأتذكر باريس شفاعتي إلى اللّه، وسأتذكر صنيعة الاحتمال في مشروع الحياة، وسأتذكر لعبة «أقصر الطرق» لم

أقبل بها مرة وأنا الذي أجدتها طوال العمر، وسأتذكر كشوفات الخسارة وأدوّن أسفلها «غداً أحاول مجدداً».

في الدقائق التالية من عشرين دقيقة بعد الموت سأدوّن ما تخلفت عن الوفاء به وإن طالت القائمة فهناك متسع من التعويض، وهنا تحديداً سأتذكر دوماً وطيلة نومي الأخير أنني كنت أمنّي الأصدقاء وأمي، أمي كلها، مؤكداً: «أكثر ما يرعبني في الموت أنه يسلب قدرتي على أخذ الأمل معي»، وهنا يحصد الخوف بآخر مناجله وأكثرها دقة، وتشتد القامة إلى فكرة الرفض!.

عند الدقيقة العشرين تماماً حتماً سأشعر بأن الموت أقل في قبضته وتحمس لفكرة التزامي نحو تلك القائمة، كما لو أنه يعطي لشخصي قيمة لا تقل عن جدية وأصالة وظيفته القديمة.

الموتى المتوقعون

يمكن الحصول على وثيقة الجثّة من المعنيّ شخصياً، أو من دافن الموتى الذي سيكون خلف الغلاف الأخير بعد أن تتركه يدك، وذلك، إن أردت، لتخليد الذكرى بشكل يثير فزع العالم، وفي حال وجود فراغ أبديّ ما، تحت أي منهم هذا يعني أن الميّت عاد للحياة بإرادته وبالتالي فإن صافرات الإنذار أيقظته ولم يعد ينتمي للعالم ولا لكتاب العالم.

هنا يوقّعون:

أحمد العلي	سعيد الأحمد
صبا طاهر	ضياء يوسف
ضيف فهد	عادل حوشان
عبدالرحمن الدرعان	عبدالله ثابت
عبدالله السفر	عبدالله العثمان
عبدالله الناصر	كميليا إبراهيم
ماجد الثبيتي	ماجد العتيبي
محمد الحرز	منال العويبيل
منصور العتيق	نهلة محمد
هيا محمد	يحيى امقاسم

المحتويات

هذا الكتاب

ما هذا الإمعان في التوحش؟

لن يسألنا أحد بعد الآن، أو هذا ما نتمناه على الأقل! اتركوا غبار أرواحنا يشتت انتباه الهواء، فهو كما ترون؛ عشرون كائناً غريباً، اختبروا لياقتهم حيال الموت، ثم تواثبوا كعدّائين ناحية هذا المضمار المليء بالهيبة والفزَع. . .

الرعب الذي يتولى الكائنات الحيّة من هذه اللحظة التي لم يعرفها أحد على قيد الحياة مطلقاً. .

القِردة التي ترعى صغارها في الغابات، الشجرة التي يقتلعها حطّاب فقير وبقدمٍ خشنة، العشبة التي تتزحلق عليها الأفعى وتهرسها، أو البشر الذين يطلقون أبواق عرباتهم في الشوارع ويخرجون أيديهم في إشارة غير لائقة للحياة، بينما يرعبهم المرض وأسرة المستشفيات وتربية أبنائهم؛ إيماناً بالواجبات الكبيرة المحدّدة، عدى الموت.

هنا كنّا نُدخّن سجائرنا بمتعة كبيرة، أوعلى الأقل، حين انتهينا من ترتيب هذه الميتة اللائقة. . ضحكنا وبدأنا في التهيؤ!.

في الجانب الآخر أبهرنا هذا التدريب غير المتوقّع دون أن نطلب من بائع الأكفان لا نعشاً ولا طِيباً ولا عبارات عزاء ولا حتى أن تتدلّى من عينيه ولو لحظة رحمة واحدة.

هذه أحزمتنا المحشوة بالفتيل، لا لنحرق أحداً أو شيئاً، بل لنكتب بها، لشخصٍ ما، يرقد بسلام كبير وهو يردد موسيقى (٢٠ دقيقة) في حفل بهيّ من الوحدة والانتظار.

وليقل آت ذات يوم أننا حاولنا، بعشرين يد في عشرين دقيقة، أن نخدش الموت في وجهه.

طوى للنشر والإعلام
منشورات 2013
وخير جليس في الزمان طوى